

فلسفة الإحياء عند الإمام
علي بن الحسين عليه السلام

**Philosophy of revival when
Imam Ali bin Al-Hussein**
Peace be upon him

أ.م.د. رزاق عبد الأمير مهدي الطيار

جامعة الكوفة

كلية التربية الأساسية . قسم اللغة العربية

Asst. Prof. Dr. Razzaq A. Altyar

Department of Arabic
College of Education . University of Kufa

خضع البحث لبرنامج الاستئلال العلمي

Turnitin passed research

ملخص البحث

ينطلق البحث من قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ فدعوة النبي الأكرم ﷺ كانت تهدف إلى إحياء البشر، ومن المؤكد أن دلالة لفظ (الإحياء) هنا لم تكن بالمستوى الأولي للمفردة الذي يقابل (الموت) بمعنى العدم، بل المراد به معنى ثانوي مجازي، هو أن يتمكن الإنسان من التحرر من العبودية المطلقة، وينطلق في فضاء الحرية والانعتاق، ليسمو في مراتب الوجود محققا معنى الخلافة الإلهية الحقّة.

إن مقام الخلافة الإلهية يقتضي أن يتعامل الإنسان مع المخلوقات بمسؤولية واعية، فقد ولّاه الله تعالى على مخلوقاته، وسلطه عليها، وسيّرّها طوعاً تصرفه، لينظر في صنعه خليفته، وعلى الإنسان أن يتصرف في ما أولاه الله من النعم بحكمة وتقدير، فلا إفراط ولا تفريط، فالحياة لا تستقيم إلا إذا تمكن الإنسان من تحقيق التوازن الحكيم بين رغبات النفس البشرية ومتطلبات الحياة الحرة الكريمة.

كانت دعوة النبي الأكرم محمد ﷺ تسعى لتحقيق هذا الهدف، وقد اعتمدت على مقومات وأسس معينة للنهوض بالبشر وإحيائهم بعد أن كانوا أمواتا. ولقد سار أئمة الهدى من أهل بيته المعصومين ﷺ على نهج خاتم الأنبياء فرسخوا تلك الأسس، وساروا في ذلك النهج السماوي، سعيًا منهم لإحياء الإنسان، وعمارة الأرض، وخلافة السماء، وقدموا في سبيل ذلك التضحيات الجسام.

لقد مرّت على الأمة الإسلامية بعد استشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حقبة زمنية شديدة الوطأة تراجعت فيها القيم الاجتماعية إلى العرف الجاهلي القائم على استعباد الأقوياء للضعفاء والاستحواذ على الثروات والعبث بدين الله بما ترتضيه أهواء المتسلطين على مقاليد الحكم، فماتت السنن وانتعشت البدع، وتعرض الدين لخطر داهم، أوجب على الإمام الحسين عليه السلام النهوض بثورة كبرى ليعيد الحق إلى نصابه ويفضح الكاذبين، ولقد كان ثمن تلك الثورة استشهاده ومن معه، وكانت السنون التي أعقبت واقعة كربلاء تمثل صراعا داخليا في جسد الأمة التي كانت تتنازعها الأهواء والفتن . في تلك المرحلة الحرجة من عمر الأمة الإسلامية قام بأمر الإمامة والخلافة الإلهية الإمام علي بن الحسين عليهما السلام وكانت الأمة في مرحلة احتضار مدني واجتماعي وتفهم معرفي فما كان منه عليه السلام إلا أن ينهض لإحيائها من جديد متبعا لتلك الأسس والمقومات التي خطها لهم جدهم المصطفى صلى الله عليه وآله.

يسعى هذا البحث لتلمس فلسفة الإحياء عند الإمام زين العابدين عليه السلام محاولا تحديد مقومات إحياء الفرد والمجتمع موضحا معنى الإحياء في الدعوة الإلهية، ومكانة الفرد في المجتمع، ومسؤوليته في التعامل مع خلق الله، وعلاقته بالبشرية وتطورها، ويحاول البحث تحديد الأولويات وترتيب تلك المقومات في سلم (المهم والأهم) معتمدا في ذلك على ما توافر من سيرة الإمام علي بن الحسين عليهما السلام ورسائله وأدعيته وأحاديثه في المصادر المعتمدة من كتب التراجم والسير والتاريخ والحديث.

ABSTRACT

The actual paper stems from the His speech:

O ye who believe !

Give your response to Allah

And His Apostle, when He

Calleth you to that which

Will give you life

So the promulgation of the prophet (Peace be upon him and his posterity) was to revive mankind; definitely the utterance of revival designates the acts of shackles liberating and flying into freedom and liberty and being in sublimity to gain the essence of the true divine kingdom. The niche of the divine kingdom stipulates that man is to deal with other creatures in light of responsibility; Allah grants him control over them and make them appeal to him to contemplate the creation of Him; man is to be in line with what kind of blessings Allah grant and to be economical; no extravagance nor lavishing, no straight life without having wise equilibrium between the human desires and good life necessities.

The Islamic nation experiences, after the death of Imam Ali (Peace upon Him) an epoch of hard circumstances through which the social principles degrades into the primitive conditions; the weak appeal to the strong, monopolizing the sources, devastating the Religion of Allah to the desire of the rulers so the traditions vanish, calumnyation thrives, that is why Imam Al-Hussein revolts to rectify the vicious and bring right into order. However such a revolution comes as a tocsin into the mind of the whole nation. The present study endeavours to delimit the priorities and stratify the buttresses in the "important and most important ladder" in accordance with what the chronicle of the Imam, messages, supplication and speeches in the authenticated sources of the translated reference, chronicles, history and Hadeeth purport.

الفصل الاول

مشكلة البحث

لما كان الإنسان مركبا من قوى الخير وقوى الشر، فالصراع لازمة من لوازم وجوده على هذه الأرض، ولما طال العهد به بعد نزوله من الجنة انحرف بعض أفراده عن الفطرة السليمة، وأخذ يجيد عن المنهج السماوي، ويتعد عن طريق الخلافة الإلهية التي يمثلها الإنسان على سطح الأرض، فما كان من الخالق البارئ إلا أن يلفظ بهذا المخلوق، فيرسل إليه الرسل من أنبيائه واحدا تلو الآخر، ليرجعوا البشرية إلى ما شرعه الله تعالى من الشرائع والقوانين القائمة على أساس التوحيد والربوبية والعبودية لله تعالى وحده، ثم تعليم الناس وتعريفهم بحقيقة أمرهم من مبدئهم إلى معادهم، وتذكيرهم بأن وجودهم على الأرض ليس عبثا، وأنهم يجب أن يسلكوا في هذه الدنيا حياة تنفعهم في غد، وأمرنا تعالى أن نستجيب لدعوة الرسل لأنهم يدعون دوما إلى ما فيه حياة البشرية.

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾^(١)، فدعوة الرسل قائمة على أساس (الإحياء) أي إعادة الحياة لأشياء قد أُميتت، وفلسفة (الإحياء) هذه تشمل حياة الإنسان بكل تفاصيلها، بل تتعداه إلى بيئته ومحيطه، فهو مسؤول عنهما بحكم ولايته وخلافته لله تعالى، وقد وهبه الله تعالى الأدوات اللازمة لعمارة بيئته ومحيطه، قال تعالى ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾، وقال تعالى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٣﴾.

إذن (الإحياء) أساس من أسس الدعوة السماوية التي جاء بها الرسل وخاتمهم نبينا محمد ﷺ و(الإحياء) متعدد المستويات ومتنوع الطرق ولكن مجموعه يضمن للإنسان حياة دائمية منعمة في الدارين.

ثم إن لكل رسول خلفاء على شرعه توكل لهم مهمة رعاية شريعته وإتمام ما بدأه وكذلك حال نبينا الأكرم ﷺ فقد وَكَّلَ أمرَ رعاية أُمته إلى خلفائه الأئمة المعصومين، وقام كل منهم بما يجب عليه في وقته وعصره بما حفظ لنا الدعوة المحمدية وحماها من الاندثار أو الانقلاب، ويحاول هذا البحث تلمس (فلسفة الإحياء) في تراث إمامنا زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام في مستوياتها المتعددة، وقد اختار البحث عصر الإمام زين العابدين عليهما السلام لأنه من أكثر الأوقات التي مرت على المسلمين حرجا وانتكاسة، فقد تمكن الحزب الأموي من الاستيلاء على السلطة في المجتمع الإسلامي، وأخذ يرجع بالمجتمع إلى الجاهلية في أعرافه وتقاليده، فضلا عن تحريفه لدين الله الذي جاء به خاتم أنبيائه ﷺ وهنا يتضح معنى (الإماتة) فقد أُميت الدين وأحييت البدع، فكان لزاما على حراس العقيدة وحماها أن يمارسوا (الإحياء) بكل اتجاهاته لمقاومة الإماتة وهذا ما يحاول البحث بيانه.

التمهيد

أولاً: مفهوم (الحياة)

جاء في المعجم الحياة: نقيض الموت، وحَيٍّ يَحْيَا فهو حَيٌّ، أي صار ذا حياة، والحَيُّ من كل شيء: نقيضُ الميت، والجمع أحياء. والحَيُّ: كل متكلم ناطق. والحَيُّ من النبات: ما كان طَرِيًّا يَهْتَزُّ^(٤). وقد تستعمل استعمالاً مجازياً؛ فكلمة (الأحياء) في قوله تعالى ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾^(٥)، فسرّها ثعلب فقال: «الحَيُّ هو المسلم والميت هو الكافر» في حين قال الزجاج: «الأحياء المؤمنون والأموات الكافرون؛ ودليل ذلك قوله تعالى ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾^(٦)، وكذلك قوله تعالى ﴿لِيُنْذَرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾^(٧)؛ أي من كان مؤمناً وكان يَعْقِلُ ما يُخاطب به، فإن الكافر كالميت»^(٨). وجاء في (موسوعة المورد) ما نصه «الحياة Life: خاصية تميز الحيوانات والنباتات عن الأشياء غير العضوية وعن المتعضيات الميتة»^(٩). وقد يبدو هذا التعريف غير شاملاً؛ إذ لا يُبين حقيقة الحياة؛ ولعلَّ مردَّ ذلك إلى أن ظاهرة (الحياة) لا تزال تنتظر من يعرفها تعريفاً كاملاً بعيداً عن السذاجة. وقد نستطيع أن ندرك معنى (الحياة) إذا حددنا أهم صفات الكائن الحي، إذ يتميز الكائن الحي على وجه العموم بأنه غير ساكن Static وبأنه يتكيف معالبيته، وبأنه يخضع لتغير داخلي مستمر. ومن أبرز مظاهر هذا التغير: النمو، والحركة، والتوالد أو التناسل، والأيض أو الاستقلاب Metabolism، والتأثيرية أو قبول الإثارة irritability، ولكن هذه الصفات تتميز بها الحيوانات العليا في المقام الأول فتجعلها تستجيب لمختلف المنبهات أو المؤثرات^(١٠).

ولم يكن تعريف معجم (الصحاح في اللغة والعلوم) لمفهوم الحياة بعيد عن هذا التعريف إذ يعرف: «الحياة - Life: بأنها مجموع ما يشاهد في الحيوانات والنباتات من مميزات تفرق بينها وبين الجمادات مثل التغذية والنمو والتناسل وغير ذلك»^(١١). ويبدو أن هذين التعريفين هما تعريفان باللائم، كما يقول المنطقة، وهما خاصان بالأحياء من الممكنات، ولا ينطبق هذان التعريفان على واجب الوجود حينما يوصف بأنه (الحي)؛ إذ أنها في حقه تعالى تختلف عنها في حقنا، وذلك أن حياتنا يدركها الموت فيبطلها. أما في حقه تعالى فحياته لا يدركها موت ولا يلحقها فناء^(١٢)، يقول الطباطبائي: «إن الحياة الحقيقية يجب أن تكون بحيث يستحيل طرو الموت عليها لذاتها، ولا يتصور ذلك إلا بكون الحياة عين ذات الحي غير عارضة لها ولا طارئة عليها بتمليك الغير وإفاضته، قال تعالى ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾^(١٣)، وعلى هذا فالحياة الحقيقية هي الحياة الواجبة، وهي كون وجوده بحيث يعلم ويقدر بالذات»^(١٤).

إن مفهوم الحياة يماثل مفهوم الوجود في أنه أعرف من أن يُعرّف، وهذا هو شأن أكثر المفاهيم التي تدرك بالوجدان إدراكا فطريا، فإنها مما تستحضرها الأذهان ويعجز عن تعريفها البيان، وننتهي من هذا إلى أن مفهوم الحياة هو ما يحضر في أذهاننا من معنى ومدلول عند سماعنا لكلمة (حياة). أما معنى (الإحياء) في هذا البحث فهو ضد مفهوم الإماتة وهو أن تعيد الحياة لمن فقدتها وحتما سيكون المعنى هنا مجازي قد يشمل الأشخاص أو المجتمعات، وحتما ليس المقصود إعادة الحياة لشخص فقدتها على نحو ما كان يفعل نبي الله عيسى عليه السلام وهذا ما سيتبين في صفحات البحث القادمة بإذنه تعالى.

ثانيا: عصر الإمام علي بن الحسين عليه السلام

لقد كانت سنوات حياة الإمام علي بن الحسين عليه السلام السبع والخمسين الممتدة بين سنة ولادته عام ثمانية وثلاثين من الهجرة النبوية وسنة وفاته عام خمس وتسعين من أصعب السنوات التي مرت بالمسلمين بعد وفاة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله؛ إذ اتسم عصر الإمام زين العابدين عليه السلام باضطراب سياسي، واجتماعي، واقتصادي، لم يشهده عصر من قبله؛ فقد شحن بالفتن الفظيعة والأحداث الجسام مما جعله يفقد روح الاستقرار والطمأنينة، ويعيش في دوامة من القلق والقتل والتشريد والتجويع. لقد أمعن الحكم الأموي في نشر الظلم والاضطهاد، فأرغم الناس على ما يكرهون حتى بات كل فرد منهم مضطربا، لما يساوره من الهموم والآلام.

إنَّ الإحاطة بمعالم الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كانت تحيط بالإمام زين العابدين عليه السلام تعطينا صورة واضحة للمواقف التي كان يتعامل معها الإمام وسياسته في التعامل مع تلك الأحداث وتساعدنا كثيرا على فهم شخصية الإمام ع ودوره الإحيائي للمجتمع.

عاصر الإمام علي زين العابدين عليه السلام مجموعة من الحكام الأمويين: يزيد بن معاوية، ثم معاوية بن يزيد، ثم مروان بن الحكم، وعبد الملك بن مروان، ثم الوليد بن عبد الملك بن مروان، ومن الولاة: الحجاج بن يوسف الثقفي، وعبيد الله بن زياد، وهشام بن اسماعيل والي المدينة. وكل هؤلاء اشتهر عنهم الظلم والاستهتار بمحارم الله وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق.

لقد تأطرت حياة الإمام عليه السلام بسلسلة من المآسي؛ فقد استقبل سنته الثانية باستشهاد جده أمير المؤمنين عليه السلام بعد صراع مرير مع الباطل الذي مثله معاوية بن أبي سفيان رأس الحزب الأموي الظالم، وشاهد الإمام زين العابدين عليه السلام بعينه

كيف تقاعس أهل العراق عن مناصرة عمه الإمام الحسن عليه السلام حتى عقد الصلح مع معاوية مكرها وسرعان ما اكتوى بوفاته عليه السلام مسموما، وله من العمر يومئذ عشر سنين، ولما بلغ الإمام السنة الثانية والعشرين توجت المآسي حياته بفاجعة كربلاء التي فقد فيها الإمام عليه السلام أبيه، وأخوته وخيرة أهل بيته والخلص من شيعتهم، ورأى مقتلهم واحدا واحدا، ورأى سبي النساء، وتحمل ثقل القيود ومجابهة يزيد وعبيد الله بن زياد، والأمة التي خذلتهم وتفرجت على قتلهم ثم عادت فبكت عليهم نادمة تائبة، وهكذا نريان الإمام عليه السلام ترعرع في مناخ من الصراعات والمحن والحروب ومكابدة الظلم والعدوان.

اصطبغت الحياة السياسية في عصر الإمام السجاد عليه السلام بألوان من القلق والاضطراب، فقد خيم الذعر والخوف على الناس وفقدوا الأمن والاستقرار بكل أشكاله، مما سبب تفكك المجتمع وشيوع الأزمات السياسية الحادة، واندلاع الثورات المتلاحقة. والسبب الأول والأخير في كل هذه الأحداث المؤلمة يعود إلى طبيعة الحكم الأموي والفساد الذي استشرى في البلاد.

ومن أبرز مظاهر هذا الحكم الظالم^(١٥):

الجور والاستبداد

إذ استبد الأمويون في حكمهم الشعوب الإسلامية وجاروا كثيرا، فلم يكن هناك قانون تسير عليه الدولة، وإنما كان حكما مزاجيا يخضع لمشية ملوكهم ورغباتهم، وأهواء وزرائهم وعواطف ولائهم. حتى قيل في وصفه: «إن نظام الحكم في عهد ملوك الأمويين لم يكن إلا ما نسميه في لغة العصر بـ (نظام الأحكام العرفية)، هذا النظام الذي يهدر الدماء، ويرفع التعارف على المنطق القانوني، ويهدد كل امرئ

في وجوده»^(١٦) لقد أصبح الاستبداد السياسي الظاهرة البارزة في الحكم الأموي اتخذ فيه الملوك الأمويون، منهجا خاصا، انهارت بسببه قواعد العدل السياسي ومبادئ الحرية الاجتماعية.

الإرهاب والتجويع

استعمل الحزب الأموي سياسة التجويع والإرهاب الاقتصادي، فقد كتب معاوية إلى عماله كتابا واحدا إلى جميع البلدان: «انظروا من قامت عليه البيئة أنه يجب عليا وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه...»^(١٧) فحارب الناس في أقواتها ومنعها من عطائها ليجوع كل من يعارضه سياسيا وفكريا، ثم أتبع ذلك بكتاب آخر قال فيه: «من اتهمتموه ولم تقم عليه بيئة فاقتلوه فقتلوه مع ليال تهموا لظنوا الشبه تحت كل كوكب حتى لقد كان الرجل يسقط بالكلمة فيضرب عنقه ولم يكن ذلك البلاء في بلد أكبر ولا أشد منه بالعراق ولا سيبا بالكوفة»^(١٨) فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم إليه البصرة، فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام فقتلهم تحت كل حجر ومدر وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون، وفعل بهم ما فعل.

القضاء على الحريات العامة

لقد قضي على الحريات العامة في العهود الأموية ولم يعد لها أي ظل على واقع الحياة، وبصورة خاصة حرية الرأي والقول، فبات أي فرد من المواطنين لا يستطيع أن يدلي برأيه، وبما يفكر به وبالأخص في ما يتعلق بالولاء لأهل البيت عليهم السلام، فكل من يتظاهر بحبهم والولاء لهم يتهم بالكفر والإلحاد والزندقة. وقد علقت في الساحات

العامة في الكوفة مجموعة من جث رجال الفكر والعلم في الإسلام قد صلبوا أياما على الأعمدة بسبب حبهم للإمام أمير المؤمنين عليه السلام كميثم التمار ورشيد الهجري^(١٩).

إحياء النزعة القبلية والأعراف الجاهلية

عاد الحزب الأموي بالمجتمع إلى الأعراف القبلية الجاهلية وحاول معاوية بهذه السياسة إلهاء القبائل عن حكمه بالمشاكل الداخلية والخلافات القبلية، فكان يثير النزاعات بين مضر وربيعة والأزد، وازدهر الهجاء على ألسن الشعراء في عهد بني أمية فهجا شاعر البلاط الأموي الأخطل، وهو نصراني، الأنصار بحضرة معاوية وبطلب منه للتنكيل بهم^(٢٠).

وأخذ معاوية بإثارة الضغائن بين الأوس والخزرج وبث روح البغضاء والنفرة بين القبائل العربية فشغلت هذه القبائل بأحقادها الصغيرة عن مقارعة الظلم الأموي، وشغل زعماء هذه القبائل بالسعي عند الملوك الأمويين للوقية بأعدائهم القبليين، فكان معاوية وخلفاؤه حكاما بين رؤساء القبائل المتصارعين فيما بينهم على النفوذ والمكاسب المادية. هذا من جهة.

ومن جهة أخرى: لقد أكرم الإسلام الإنسان وحارب العنصرية وشرع مبدأ التقوى بقوله تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٢١)، وقال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: ((كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى))^(٢٢)، ولكن هذا المبدأ الذي يضع بلالا الحبشي وسلمان الفارسي وصهيبا الرومي على قدم المساواة مع زعماء الجاهلية لم يرق لبني أمية؛ لأنه يسلبهم زعماء الجاهلية القائمة على البطش والظلم والجور، فلم يكن من معاوية إلا إثارة النعرات الجاهلية من جديد بعد أن خبت، وأحيائها بعدما ماتت

في نفوس المؤمنين. فعمل على تعميقها وركز على التفرقة بين العرب والعجم. فقد «استدعى معاوية بن أبي سفيان الأحنف بن قيس وسمرة بن جندب وقال لهما: إني رأيت هذه الحمراء قد كثرت وأراها قد قطعت على السلف، وكأنهم أنظر إلى وثبة منهم على العرب والسلطان فقد رأيت أن أقتل شطرا وأدع شطرا لإقامة السوق، وعمارة الطريق»^(٢٣)، لقد سن معاوية اضطهاد الموالي، واخذت الحكومات التي تلت من بعده تشيع فيهم الجور والحرمان على الرغم من اشتراكهم في الميادين العسكرية وغيرها من اعمال الدولة، وكان هذا الموقف العدائي من الموالي سببا في امتهانهم وإرهابهم وفصلهم عن المجتمع، ومثلت هذه السياسة قتلا لمبادئ الإسلام القائم على المساواة والعدل والتآخي وعدم التفرقة، وعودة بالمجتمع إلى الأعراف الجاهلية القائمة على التمييز العنصري غير العادل.

إقصاء دين الله وشريعته

لم يكن أبو سفيان وذريته ممن آمن بدين الله، ولكنه دخل الإسلام مرغما بعد فتح مكة، ولم تكن نفسه تطيب بذلك، فما كان منه ومن حزبه إلا التملص من دين الله وشرعية خاتم الرسل كلما وجدوا فرصة لذلك، ولقد جاهر أكثر ملوكهم بالكفر والإلحاد، ودفنوا مبادئ الإسلام وشرائعه، فشربوا الخمر، وانتهكوا الأعراض واغتصبوا الأموال وقتلوا النفس المحترمة وعاثوا في الأرض فسادا، وحاولوا الانتقاص من شخص النبي الأعظم ﷺ وذريته حتى بلغ الأمر أن يتشفى يزيد بن معاوية المعروف بفسقه وإلحاده وتنكره للمبادئ الإسلامية بأبيات ابن الزبيرى حينما وضع أمامه رأس الحسين عليه السلام قائلا:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل^(٢٤)

ولم يعد للقرآن وأحكامه أي وجود في أجهزتهم وإداراتهم، يقول نيكلسون:
«كان الأمويون طغاة، مستبدين، لانتهاكهم قوانين الإسلام وشرائعه، وامتھانهم
لمثله العليا، ووطئها بأقدامهم...»^(٢٥).

سياسة التجهيل

سعى الحزب الأموي إلى تجهيل الناس؛ لأن جهل الناس بالأمر يفقدهم
المقاييس التي يقيسون بها الأشياء والأحداث، وهذا مما يفيد السلطة الغاشمة، إذ
يتيح لها الفرصة بعدم مراقبة الناس لهم ومحاسبتهم على أخطائهم. وهذه السياسة
الغاشمة شجعت الأمويين على نشر الجهل ولم يهتموا بنشر العلم بين أفراد الأمة،
ولم يوضحوا أحكام الله كما هي على حقيقتها بل حرفوها واختلقوا الأحاديث
الموضوعة، فبرز الأدعياء الجاهلون والمرترقة المحترفون، وتوارى العلماء والمؤمنون
عن الساحة، حتى أنا نجد أن سوق الكذابين والوضاعين وبعض من أسلم من أهل
الكتاب قد راج وصاروا هم أهل العلم والمعرفة والثقافة للأمة حينما انضوا تحت
لواء الحكماء، كل هذه السياسات الخبيثة والمديرة فعلت فعلها في المجتمع الإسلامي
وضللت قطاعات واسعة من الأمة. حتى التبست أمور كثيرة في أذهان الناس،
واختلط الحق بالباطل وأثمرت سياسة معاوية حسب مخططها وآت أكلها. حتى
ولدت عند المجتمع (ازدواج الشخصية)^(٢٦)، وذلك ما صورّه الفرزدق للإمام
الحسين عليه السلام حين لقيه في بعض الطريق فسأله عن أهل الكوفة فقال له: «قلوبهم
معك وسيوفهم عليك»^(٢٧).

قسوة ملوك بني أمية وطغيانهم وانحرافهم عن الإسلام

مما يميز عصر الإمام زين العابدين عليه السلام قسوة ملوك بني أمية وولاتهم، ولقد كانوا في هذا الوقت في أوج شدتهم وطغيانهم وجبروتهم، ويشهد التاريخ بأنهم أشد الناس قسوة وأكثرهم انحرافاً عن الإسلام، ولقد ذكرنا آنفاً أسماء الملوك والولاة الذين عاصروهم الإمام عليه السلام، وفي عهدهم حصلت كل تلك الموبقات مما يهتز لعظيم خطرهما العرش، وتبكي لشدة هولها سكان السماوات والأرضين، فقد قتلوا أشرف الناس أما وأباً سبط النبي وريحانته الحسين بن علي عليه السلام، وسبيت المدينة في عهدهم وانتهكت أعراضها، وهدمت الكعبة ورميت بالمجانيق، ولم تبق حرمة من حرم الله لم تنتهك. ويزيد الخمار السكير كان صاحب جوار وكلاب وقرود ومنادمة على الشراب. والحجاج بن يوسف الثقفي كان ظالماً غشوماً أهلك الحرث والنسل وتطاول على الصحابة الشرفاء والأفاضل من العلماء، هذان نموذجان من أعتى الناس الذين عاصروهم الإمام زين العابدين عليه السلام (٢٨).

انتشار التمايز الطبقي والإفراط فيه

شهد العصر الأموي تدهوراً كبيراً في الحياة الاقتصادية العامة؛ إذ كانت جلُّ مرافقها مشلولة ومضطربة؛ فالزراعة التي تمثل العمود الفقري في البلاد قد ضعفت كثيراً، بسبب الفتن والاضطرابات الداخلية، وإهمال الدولة لمشاريع الري، وإصلاح الأرض والنظر في حاجات المزارعين. فنجم عن ذلك مجاعة عامة في البلاد أصابت معظم الطبقة العامة من السكان. وارتفعت أسعار السلع وخلت معظم البيوت من حاجات الحياة، وأصبحت بطون الناس خاوية وأجسادهم عارية. وكانت الناس عامة يعيشون حياة بائسة لا تعرف السعة ولا الرخاء (٢٩).

وعلى الجانب الآخر انغمس ملوك الأمويين وولاتهم بالنعم والترف، فقد كانوا يتصرفون بخزينة الدولة بوصفها ملكا لهم وهم يتصدقون على من يشاؤون من الناس، وقد ذكر المؤرخون أشياء كثيرة عن ترفهم وملابسهم ومصاريفهم فكان بعضهم يلبس الثوب الذي قيمته مئآت الدنانير الذهبية ويلبس القمصان التي يزيد سعرها على ألفي درهم فضي وكل ذلك يدل على ترفهم الكبير وتلاعبهم باقتصاد الأمة وثرواتها وبعدهم عن تعاليم الإسلام السمحة العادلة^(٣٠).

وأسرف الأمويون في هباتهم للشعراء، ومحرفي الكلم عن مواضعه، فأجزلوا لهم العطاء ليقطعوا ألسنتهم وينطقوا بفضلهم. فالأحوص، شاعرهم، نال مرة مائة ألف درهم، ونال مرة أخرى عشرة آلاف دينار^(٣١)، والأخطل شاعر البلاط الأموي، وخاصة عبد الملك بن مروان، أثرى بمدحه لهم إلى حد التخمّة وتنقل لنا كتب الأدب كثيرا من أخبارهم معهم وهباتهم لهم الأموال حتى أنهم يكيلون له الأموال بالقصاع ولا تعدّ عدا^(٣٢).

وليس بعيدا عن ذلك هباتهم للمغنين والمغنيات، فقد أغدقوا عليهم بالجوائز والهبات مما دعاهم للتوافد على حكام بني أمية من شتى البلدان. فقد أعطى الوليد بن يزيد معبدا المغني اثني عشر ألف ديناراً، واستقدم مغني الحجاز ومغنياتها جميعهم، وأسرف عليهم ببذل الأموال، ومن وفد على يزيد بن عبد الملك معبد ومالك ابن أبي السمح وابن عائشة فأمر لكل واحد منهم بألف دينار، وطلب الوليد المفتي يونس الكاتب، فذهب إليه وغناه، فأعجب بغنائه، فأجازه بثلاثة آلاف دينار^(٣٣)، وهكذا كانت أموال المسلمين والفقراء تذهب لغير مستحقيها وبدون عناء ولا وازع من ضمير أو رقيب كل ذلك من أجل نزوات ملوك بني أمية الرخيصة ورغباتهم الحقيرة.

هذا الإنفاق غير المتوازن أضرَّ بالمجتمع فترك عامَّة الناس فقراء لا يملكون طعام يومهم ويكدحون من أجل الرغيف في حين يرفل الملوك والولاة وعمالهم وحاشيتهم والمخنشون والمداحون والمغنون والراقصون بأموال الشعب، مما ولَّد طبقيَّة مفرطة بين الأفراد، ولم يعد للاقتصاد الإسلامي أي وجود في واقع الحياة العامة.

انتشار العبيد والإماء في المجتمع

خلق الله الناس أحرارا، أمَّا الرقُّ والعبودية، فحالة طارئة على أصل وجود الإنسان، فيها امتهان لكرامته، وتدنيس لعزته، وكسرٌ لكبريائه، وفيها تحطيم لقدراته العقلية والإبداعية، وتحويله إلى حيوان للعمل والخدمة حاله حال ثور الحراثة وكلب الصيد، وقد شاعت ظاهرة العبودية في العصر الأموي، وكثر العبيد والإماء وزاد عددهم لدرجة كبيرة ومؤثرة على بنية المجتمع؛ وذلك نتيجة الفتوحات الإسلامية، ووفرة الأموال عند طبقة خاصة من الناس، ما دفعهم لشراء عدد كبير من العبيد والإماء، ومع زيادة أعداد العبيد وانحلال الطبقة الحاكمة ومجونها، وقلة مبالاتها بحدود الله وتعاليم السماء زاد الخطر والتهديد الذي تشكله هذه الطبقة (العبيد والإماء) على المجتمع الإسلامي، فليس ثمة ما يمنع هؤلاء من الانغماس في اللذات والشهوات والتجاوز على الأموال والأعراض وترسيخ الانحلال الأخلاقي في المجتمع، وقد يكون ذلك أقرب لنفوسهم؛ للتشفي بهذا المجتمع الذي حولهم من أحرار إلى عبيد بالقوَّة والسطوة، ويساعدهم على ذلك الجهاز الحاكم بدءا بالخليفة ومرورا بالأمرأ والوزراء وانتهاء بموظفي الدولة ومن يتمثل بهم، فقد كانوا جميعا بعيدين عن الإسلام، ولا يأبهون بأحكامه، يتجاهرون بالمنكر والفحشاء، ولا يراعون آداب الإسلام وأعرافه، بل كانت سياسة بعضهم واضحة في طمس

معالم الإسلام والاستخفاف بها حتى صلى خليفة المسلمين سكران وتقياً بعضهم في المحراب من الخمر^(٣٤).

شيوخ الغناء والرقص والمجون والانحلال الخلقي

لقد كانت نزعة اللؤم والخبث تسيطر على أفعال بني أمّة وحزبهم؛ ولقد أدرك هؤلاء مدى أهمية يثرب وقدسيتها في نفوس المسلمين فما كان منهم إلا أن يدنسوا هذه المدينة ويشغلوا أهلها وشبابها بالغناء ليأمنوا جانبهم من جهة، وتنتهك حرمة المدينة المقدسة من جهة ثانية، وهكذا استقطب الأمويون المغنيين والمغنيات حتى أضحت يثرب تعج بهم، وأصبحت هناك دور لتعليم الغناء والرقص للفتيان والفتيات، فانتشر الغناء وانتشر معه المجون والفساد. حتى قال أبو الفرج الأصفهاني: «إن الغناء في المدينة لا ينكره عالمهم، ولا يدفعه عابدهم»^(٣٥)، وقال أبو يوسف لبعض أهالي المدينة: «ما أعجب أمركم يا أهل المدينة، في هذه الأغاني، ما منكم شريف ولا دنيء يتحاشى عنها»^(٣٦)، لا ريب في أن المدينة المنورة في العصر الأموي كانت مركزاً مهماً من مراكز الغناء في العالم الإسلامي، ومعهداً خاصاً لتعليم الجوّاري الغناء والرقص، بل أكثر من ذلك فكانت تقام في يثرب والمدينة حفلات الغناء والرقص لأشهر المغنيين والمغنيات، وربما كانت مختلطة بين الرجال والنساء، ولم توضع بينهما ستارة^(٣٧).

ومن المؤسف حقاً أن مدينة النبي ﷺ صارت في العصر الأموي مركزاً للحياة العابثة، وكان من المؤمل أن تكون مصدر إشعاع للثقافة الدينية ومركزاً مهماً للتطور الفكري والحضاري في العالم العربي والإسلامي، إلا أن ملوك بني أمية أماتوا هذه المدينة وانتزعوا منها قدسيتها وأفقدوها زعامتها السياسية والاجتماعية والدينية.

وجلي للعيان أن تركيز الأمويين على تدفق الجواري وإشاعة الغناء في هذه المدينة كان يراد منه إلهاء الشباب وإبعادهم عن المطالبة بالخلافة والحكم.

أما مجون الأمويين فأشهر من أن يتحدث عنه باحث فقد عاش ملوك بني أمية كالقياصرة والأكاسرة، حياة كلها لهو وعبث، فأمضوا لياليهم بشرب الخمر وإقامة حفلات الغناء والرقص، وكان أول من آوى المغنين وشجع الغناء من بني أمية يزيد بن معاوية، فقد كان يطلب المغنين والمغنيات من المدينة إلى الشام^(٣٨)، ويتجاهر بالفسق والفجور ويشرب الخمر علناً لا يخشى خالقاً أو مخلوقاً.

ومن مجانهم المعروفين الوليد بن يزيد الذي باع عقله للشيطان وعاش متهتكاً فاسقاً فارغاً من كل القيم الأخلاقية. وحكى المؤرخون قصصاً عن مجونه وتهتكه يندى لها الجبين^(٣٩)، ومن مجانهم أيضاً يزيد بن عبد الملك، الذي بلغ بمجونه الإلحاد والكفر^(٤٠). ولقد تابع الناس ملوكهم في المجون وإظهار الفحشاء، فشاع الفسق والفجور وتفشى في أنحاء العالم الإسلامي.

خلاصة الأمر: لقد كانت هذه الأمور أبرز سمات العصر الأموي وسياسات ملوكه وولاته الأمويين وإذا دققنا النظر فيها نجد أنها أكثر بشاعة من قيم العصر الجاهلي التي حاربها الإسلام وسعى الرسول الأكرم ﷺ جاهداً إلى تغييرها في ثلاث وعشرين سنة من الدعوة والجهاد والعمل فأحى النبي ﷺ العرب وأنشأ منهم أمة أخذت تكبر وتنمو، ولكن تسلط الأمويين على مقاليد الحكم وسياستهم التي لا تمت لدين الإسلام بصلة بل على العكس هي تقف على النقيض من تعاليمه أمات الدين وأحيت البدع وأعادت المجتمع إلى عصر الجاهلية بل كان عصرهم أكثر سوءاً ودموية من عصر الجاهلية.

ولقد كان الإمام علي بن الحسين عليه السلام على وعي تام بأن المجتمع قد عاد وانقلب على عقبيه كما كان يوم بُعث جدّه المصطفى ﷺ، ولما كان هو خليفة الله في أرضه ووصي خاتم رسله، فعليه تقع مسؤولية النهوض بالمجتمع، وسياسة الناس، وصلاح الأمة، وحماية الدين، وحفظ الشريعة. فما كان منه إلا أن يقوم بهذه المهام على أكمل وجه وأتم صفة، فقد وضع لذلك الخطط السديدة، المبنية على علم دقيق بحجم المشكلة وأبعادها، وحدد الطريق الأصلح لعلاج تلك الأمراض الاجتماعية والشخصية، وكان أساس ذلك العمل يرتكز على (فلسفة الإحياء) ولا شك أنها نفس الفلسفة التي ارتكزت عليها دعوة السماء التي جاء بها نبينا الأكرم ﷺ فدعانا إلى ما يحينا وأمرنا الله تعالى بالاستجابة لدعوته قائلا عز من قائل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾^(٤١)، لقد اهتم الإمام علي بن الحسين بالفرد فهو اللبنة الأولى لبناء المجتمع، وما لم تكن هذه اللبنة صالحة فلا يمكن للبناء أن يكون صلبا صحيحا وشاخا، لذا كانت فلسفة الإمام لإصلاح المجتمع تقوم في جزء كبير منها على إحياء الفرد وتنشئته تنشئة سليمة تضمن له الحرية والكرامة والعفة والغنى، ويمكن للباحث أن ينظر إلى فلسفة الإمام الإحيائية للأفراد من جهتين الأولى: تتعلق بالحياة المادية للأفراد.

الفصل الثاني

المبحث الأول

الحياة المادية للفرد ومقومات إحيائها

يمكن أن نعرض الحديث حول الإحياء المادي للأفراد في نقطتين:

الإيجاد والتكوين الأولي للفرد

يمثل الزواج العلاقة الفطرية والطبيعية التي تربط بين الذكر والأنثى، وهو أنجح الطرق لإنتاج الفرد الصالح في المجتمع، ولقد حثت الشريعة الإسلامية على إيجاد الأفراد في هذه الدنيا من الطرق الشرعية الصحيحة القائمة على الزواج الشرعي بين الذكر والأنثى، وأن لا يكون إيجاد الفرد في المجتمع من سفاح أو طرق غير شرعية أو علاقات محرمة أو مشبوهة، وقد حث الإسلام على الزواج وإنتاج الأفراد الصالحين للمجتمع، قال تعالى ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾^(٤٢)، فمن ضمن نعم الله التي تفضل بها على العباد أن جعل لهم بنين وحفدة من زوجاتهم؛ إذن الأولاد الذين ينشؤون من علاقة الزواج الصحيحة هم من نعم الله التي أفاضها على عباده، أما غيرهم فقد يكونوا بلاء ووبالا على المجتمع لأنهم سيشعرون بمجموعة من العقد النفسية التي تسيطر على شخصيتهم

وتصرفاتهم، وتقودهم للانتقام من المجتمع أو تؤثر سلباً على تصرفاتهم لسد عقد النقص التي ترافقهم مدة حياتهم؛ إذ يشعرون أن وجودهم في هذه الدنيا خطيئة وليس وجوداً طبيعياً.

وقد ندب رسول الله ﷺ الزواج وحب إنتاج الأولاد فقال ﷺ: ((تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم غدا في القيامة))^(٤٣)، وكان الإمام زين العابدين عليه السلام يسير على نهج جده المصطفى في الدعوة إلى إشاعة الزواج وتكثير الأولاد؛ إذ يقول: ((من سعادة الرجل أن يكون له ولد يستعين بهم))^(٤٤)؛ وقال عليه السلام: ((من سعادة المرء أن يكون متجره في بلده ويكون خلطاؤه صالحين، ويكون له ولد يستعين بهم، ومن شقاء المرء أن تكون عنده امرأة معجب بها، وهي تخونه))^(٤٥)، فإنتاج الذرية الصالحة سبب من أسباب سعادة المرء الفردية في هذه الدنيا؛ إذ تضمن له العون على مصاعب الحياة، فالمجتمع يعين بعضه بعضاً، وفي كلامه عليه السلام إشارة واضحة إلى ضرورة اختيار الزوجة الصالحة لتكون أمّاً للأولاد، وسبباً من أسباب الاستقرار، وفي هذه الدعوة إلى حسن الاختيار تذكير بوصية النبي الأكرم ﷺ ((تزوجوا في الحجر الصالح؛ فإن العرق دساس))^(٤٦). وكان الإمام عليه السلام نفسه يستعين بالدعاء والتوسل إلى الله تعالى ليرزقه الذرية الصالحة، ويحث أصحابه على ذلك؛ إذ يقول عليه السلام لبعض أصحابه: ((قل في طلب الولد: رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين، واجعل لي من لدنك ولياً يرثني في حياتي ويستغفر لي بعد موتي، واجعله ربي خلفاً سويّاً، ولا تجعل للشيطان فيه نصيباً، اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك إنك أنت الغفور الرحيم، سبعين مرة فإنه من أكثر من هذا القول رزقه الله ما تمنى من مال وولد، ومن خير الدنيا والآخرة، فإنه يقول ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾^(٤٧)))^(٤٨)، فيأمر الإمام عليه السلام أصحابه في طلب الولد الصالح، وأن

يستعينوا على ذلك بالدعاء فضلا عن تخيرهم الزوجة الصالحة لتكوين الأسرة، بل أكثر من ذلك يذكر الإمام عليه السلام شيعته، بأن النبي الأكرم عليه السلام أمر أصحابه بالزواج من أمهات الأولاد، فيقول عليه السلام: ((قال: قال رسول الله عليه السلام: اطلبوا الأولاد من أمهات الأولاد، فإن في أرحامهن البركة))^(٤٩)، ولنا عودة للحديث عن هذه الدعوة الصريحة من الإمام بإنتاج الأولاد من الإماماء بعد قليل، ولكن هنا يتبين لنا أيضا أن الإمام يحفز أصحابه على تكثير الذرية بالطرق الشرعية الصحيحة.

إذن الطريق الصحيحة لإنتاج الأفراد في المجتمع الصالح تكمن في الزواج الشرعي وهو العلاقة الطبيعية المثلث لتكوين الفرد، ومن خلاله يشعر الإنسان بكرامته واعتزازه بوجوده، ويكون خاليا ابتداء من عقدة الوجود، أو آية عقد نفسية أخرى تتعلق بأصله وتكوينه وإيجاده، وهذه النقطة لها من الأهمية الشيء الكثير في توجيه تصرفات الفرد والسيطرة على أفعاله وأفكاره، ولقد أثبت التجارب أن كثيرا من العناصر الدموية الإرهابية التي خطت سيرتها في تاريخ البشرية بدماء الأبرياء لم يكن وجودهم في هذه الدنيا بالطرق الصحيحة، فقد أنتجوا من غير طريق الزواج الطبيعي.

الإيجاد الثانوي للفرد

ذكرنا آنفا أن من سمات العصر الأموي الذي عاش فيه إمامنا علي بن الحسين كثرة العبيد والإماء، وهذه الكثرة كانت في ظروف مجتمعية ليست سليمة وتعاني من كثير من الأمراض؛ لذا كانت هذه الظاهرة تشكل خطرا مضافا للمجتمع من جهتين:

الأولى منها يكمن في أنّ انتشار العبيد والإماء كان يتم دون تحصينهم أخلاقيا أو تربيتهم تربية إسلامية، فقد يؤتى بهم من بيئات مختلفة بعيدة كل البعد عن تعاليم الإسلام، ويُزج بهم في المجتمع، وهو يعيش هذا الانحلال لطبقة القوم العليا، فيظن هؤلاء أن الإسلام يُبيح كل تلك الموبقات التي يقوم بها الخلفاء وحاشيتهم، ما يدفعهم إلى التماهي في إظهار كل ما يروق لمواليهم، وهنا يكمن خطر ظاهرة انتشار العبيد والإماء^(٥٠). هذا الخطر الأول.

أما الجهة الثانية: فإن سياسة بني أمية كانت تقوم على عدم الاعتراف بإنسانية العبيد والإماء ولا يرون أنهم بشر مثلهم، لهم حقوقهم في العيش الكريم، ولا يجوز امتهان كرامتهم، بل على العكس، فبنو أمية يرون العبيد أنصاف بشر؛ فقد صرّح معاوية مثل ما مرّ بنا أنفا بأنه يريد قتل نصف العبيد الموجودين في المجتمع لا لشيء سوى أن أعدادهم صارت كثيرة، وكثرتهم قد تشكل خطرا على حكمه، ولم يكن هذا الشعور مستترا في نفوس الطبقة الحاكمة، بل كانوا يصرحون به، ويظهر على صفحات وجوههم، ويبيّن في فلتات أفعالهم، وكان العبيد يعلمون هذا الأمر ويتلمسونه في تعامل أسيادهم من الطبقة الحاكمة وأتباعهم، مما ولّد شعورا بالاستياء منهم، وقد نما هذا الشعور عندهم، وجعلهم ينقمون على المجتمع بأسره، وهنا تكمن الخطورة الثانية لظاهرة انتشار العبيد في زمن بني أمية، فقد يسعى بعضهم إلى الانتقام من كل شيء في هذه المنظومة المجتمعية المتناقضة، فيحطم أعرافها ويكسر روابطها، بل تعدت نقيمتهم ذلك، حتى وصلت بعد شعورهم بالظلم الفاحش، وفساد الطبقة الحاكمة إلى أن خرج بعضهم في ثورات على السلطة^(٥١)، وكانوا سببا من أسباب تقويض الحكم الأموي.

كان على الإمام زين العابدين عليه السلام أن يشرع في علاج فعال لهذه الظاهرة فيُحيي هؤلاء الناس بعدما فقدوا حريتهم، ولم يعودوا يملكون رقابهم، عليه أن يعالج الموضوع بحكمة ومسؤولية؛ إذ هو إمام الأمة، وخليفة الله في أرضه، وعلى عاتقه تقع مسؤولية إحياء العباد والبلاد؛ فكانت ظاهرة شرائه عليه السلام للعبيد وعتقهم تمثل أنجح السبل لحل هذه المشكلة، فكان الإمام عليه السلام يشتري العبيد والإماء، ولكن لا يبغي أحدهم عنده أكثر من سنة واحدة، وكان يلتمس لهم الحجج والأعذار لتكون سببا لعتقهم وتحريرهم من الرق والعبودية^(٥٢)، وبذلك إحياء هؤلاء الأفراد بعدما كانوا أمواتا.

ولسائل أن يسأل: لماذا لا يعتق الإمام عليه السلام العبيد فور شرائهم؟ أليس في ذلك تعجيل بعمل الخير؟ أليس في عتقهم فورا تسريع بحل المشكلة الاجتماعية؟ هل كانت بالإمام عليه السلام حاجة إلى خدمة هؤلاء العبيد؟

هذه الأسئلة وأمثالها قد ترد على ذهن كثيرين، ولكن التأمل في سيرة الإمام عليه السلام، وإنعام النظر في تعامله مع عياله ومواليه يعطي إجابة شافية عن تلك الأسئلة كلها.

ويمكننا أن نقول: كان الإمام علي بن الحسين عليه السلام على وعي تام بأحوال المجتمع، وما يعانيه من أزمات، وظاهرة تفشي العبيد وانتشارهم كانت أزمة اجتماعية تحتاج إلى حلٍّ صحيح، ويعلم الإمام عليه السلام جيدا أن هؤلاء العبيد بأمس الحاجة إلى الرعاية والتربية فهم ينتمون إلى بيئات مختلفة عن بيئة الإسلام الحقيقي، وإذا ما تمَّ عتقهم فور شرائهم فسيتربون في بيئات يواجهاون المجتمع بواقعه المتناقض المريع، وهذا قد يؤدي إلى ضياعهم؛ بسبب عدم فهمهم لتعاليم الدين الصحيحة، ومن المنطقي جدا أن كثيرا من هؤلاء الأفراد سيكون عالمة على المجتمع؛

إذا لاعمل لديهم ولا عشيرة تؤويهم، وسياسة الدولة تعمل على تقسيم الناس بحسب أصولهم وأعراقهم، وتميز بينهم إلى أشرف، وأقل شرفاً، وحتى إذا أعتق العبد سيسمى (مولى فلان) يشعرونه بأنه عبد حتى وإن ملك رقبتة.

مع هذه الأوضاع الاجتماعية الحرجة كان على الإمام عليه السلام أن يُعيد إحياء هؤلاء الأفراد ويعيد إليهم كرامتهم التي جرحوا، ويداوي نفوسهم التي تصدعت، ويعالج روحهم التي خدشت، ليضمن أنه حينما يسرحهم في المجتمع من جديد سيكون كل فرد منهم عنصراً بناءً ومبدعاً، ويتجاوز هؤلاء الأفراد مدة عبوديتهم، وما جرى عليهم فيها من المهانة والذل والانتقاص.

يروى لنا الإمام جعفر الصادق عليه السلام حال جده زين العابدين عليه السلام، قائلاً: ((كان علي بن الحسين عليه السلام إذا دخل شهر رمضان لا يضرب عبداً له ولا أمة، وإنه كان يكتب جناياتهم في كل وقت، ويعفو عنهم في آخر ليلة من الشهر، ثم يقول: اذهبوا فقد عفوت عنكم وأعتقت رقابكم، قال: وما من سنة إلا وكان يعتق فيها في آخر ليلة من شهر رمضان ما بين العشرين رأساً إلى أقل أو أكثر، وكان يقول: إن لله عز وجل في كل ليلة من شهر رمضان عند الإفطار سبعين ألف عتيق من النار، كل قد استوجب النار، فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان أعتق فيها مثل ما أعتق في جميعه، واني لأحب أن يراني الله وقد أعتقت رقاباً في ملكي في دار الدنيا رجاء أن يعتق رقبتني من النار، وما استخدم خادماً فوق حول، كان إذا ملك عبداً في أول السنة، وفي وسط السنة إذا كان ليلة الفطر أعتق، واستبدل سواهم في الحول الثاني ثم أعتق، كذلك كان يفعل حتى لحق بالله، ولقد كان يشتري السودانوما به إليهم من حاجة، يأتي بهم عرفات فيسد بهم تلك الفرج والخلال فإذا أفاض أمر بعنق رقابهم، وجوائز لهم من المال))^(٥٣)، هكذا يذكر لنا الإمام الصادق عليه السلام كيف أن جده زين

العابدين عليه السلام كان يعتق العبيد ويحررهم على شكل وجبات، وفي مناسبات مختلفة في نهاية شهر رمضان، وفي عرفات أي قبل كل عيد من أعياد المسلمين له وجبة يعتقهم بعد أن يطمئن أنهم قد نالوا من عطفه ورعايته ورحمته ما يمكنهم من العيش أفراداً صالحين نافعين في المجتمع.

كان الإمام علي بن الحسين عليه السلام يعامل العبيد معاملة إنسانية مثالية، فلا يشعرون في كنفه إلا بأنهم بعض عياله، ما يغرز في نفوسهم الأخلاق الكريمة، ويحبب إليهم الإسلام، ويعرفون من خلال تلك المعاملة حقيقة الأئمة المعصومين، وأنهم خلفاء الله في أرضه، وأن هدفهم إصلاح المجتمع ورعاية الناس، ولم يكن الإمام زين العابدين عليه السلام ينتظر شهر رمضان أو يوم عرفات ليعتق العبيد، بل كان يتحين الفرص لتحريرهم وعتق بعضهم، وخاصة إذا اطمأن أن هذا العبد مهياً لإعادة الاندماج في المجتمع، وأنه سيكون عنصراً فاعلاً فيه، ومهما زاد أذى العبد زاد عفو الإمام عليه السلام اتجاهه ليجسد لنا الإمام رحمة السماء وعطفها وسماحتها، فيذكر «أن جارية له كانت قائمة عليه توضحه، فسقط الإبريق من يده أعلى وجهه، فشجه، فنظر إليها، فقالت: يا مولاي إن الله عز وجل يقول ﴿وَالكَافِرِينَ الْغَيْظُ﴾»، قال عليه السلام: كظمت غيظي، قالت: ويقول ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾»، قال عليه السلام: قد عفوت عنك، قالت: ويقول ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾»، قال عليه السلام: فأنت حرة لوجه الله» (٥٤).

يتضح من الخبر أن الجارية كانت حافظة لآيات القرآن الكريم سريعة التذكر لها، وهذا دليل على قربها من القرآن وآياته، وكيف لا؟ والإمام عليه السلام كان حليف القرآن يرتله ليلاً نهاراً، فكل من يحيط به من عياله وأهل بيته وعلمانه كانوا يحفظون عنه القرآن ويتعلمون قراءته وحفظه، ولقد نفعمهم هذا الحفظ في الدنيا بعق رقاب بعضهم، فتذكر لنا كتب الحديث خبراً آخر مفاده: «أذنب غلام لعلي بن

الحسين عليه السلام ذنبا استحق به العقوبة فأخذ له السوط وقال ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا
لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾^(٥٥) فقال الغلام: وما أنا كذا كإني لأرجو رحمة الله وأخاف
عذابه، فألقى السوط، وقال: أنت عتيق^(٥٦)، ونلاحظ هنا كيف تمكن العبد من أن
يستعطف الإمام عليه السلام ويكسب رضاه بكلمة جميلة لطيفة ببركة فهمه لآيات القرآن
التي يسمعها من سيده زين العابدين عليه السلام، بل أكثر من ذلك تذكر الأخبار «أن قوما
كانوا عند علي بن الحسين عليه السلام فاستعجل خادما بشواء في التنور، فأقبل به مسرعا،
فسقط السفود من يده على ولد علي بن الحسين عليه السلام، فأصاب رأسه فقتله، فوثب
علي بن الحسين عليه السلام، فلما رأى ابنه ميتا، قال للغلام: أنت حر لوجه الله تعالى، أما
إنك لم تتعمده، ثم أخذ في جهاز ابنه»^(٥٧)، ويروي لنا الإمام محمد الباقر عليه السلام قائلا:
(إن أبي ضرب غلاما له واحدة بسوط، وكان بعثه في حاجة فأبطأ عليه، فبكى الغلام
وقال: الله تبعثني في حاجتك ثم تضربني قال: فبكى أبي وقال: يا بني، اذهب إلى قبر
رسول الله ﷺ فصل ركعتين وقل: اللهم اغفر لعلي بن الحسين خطيئته، ثم قال
للغلام: اذهب فأنت حر))^(٥٨).

ولم تقتصر مصادر الشيعة على ذكر أخبار عتق الإمام علي بن الحسين عليه السلام للعبيد،
بل تواتر في كتب العامة مثل هذه الأخبار، فعن سعيد بن مرجانة، قال وهو بحضرة
الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «سمعت أبا هريرة يقول: كان رسول الله ﷺ يقول:
(من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إرب منها إربا منه من النار، حتى أنه يعتق باليد
اليد، وبالرجل الرجل، وبالفرج الفرج)) فقال علي بن الحسين عليه السلام: أنت سمعت
هذا من أبي هريرة! قال سعيد: نعم. فقال الإمام عليه السلام: ادع لي مطرفا - غلام له أفره
غلماؤه - فلما قام بين يديه، قال: اذهب، فأنت حر لوجه الله»^(٥٩)، وكان (مطرفا) من
أفضل غلمان الإمام عليه السلام، فهو ذو أدب وذكاء وحنكة وقوة، وقيل: إن عبد الله بن
جعفر الطيار كان قد عرض على الإمام زين العابدين عليه السلام أن يشتري منه هذا الغلام

بألف دينار وقيل بعشرة آلاف درهم^(٦٠) فلم يبعه الإمام عليه السلام وإن كان المبلغ الذي عرض عليه عالياً، ولعلَّ الإمام علي بن الحسين عليه السلام كان يتحين الفرصة المناسبة لعتقه فرقة هذا الغلام عنده عليه السلام أغلى من كل ثمن يقدم بدلا منها، فقد كان الإمام عليه السلام يربي هذا الغلام وأمثاله بيده ويعيد دمجهم بالمجتمع، ليكونوا بؤرة صالحة تنشر الخير والفضيلة والصلاح فيمن حولهم.

وهكذا تستمر الروايات التي تتحدث عن عتق الإمام زين العابدين عليه السلام للعبيد والإماء حتى ذكرت المصادر أنه أعتق آلافاً منهم مدة حياته الشريفة^(٦١)، وكان هؤلاء العبید يتعلمون على يد الإمام عليه السلام مبادئ الدين وحفظ القرآن الكريم، وتفسير بعض آياته ويتعلمون من سلوك الإمام عليه السلام العبادة والإخلاص والإيمان والتقوى والصدق والجود والسخاء والفضيلة كلها، ثم إن قسماً ليس بالقليل من عتقاء الإمام عليه السلام أخذوا يدرسون على يديه عليه السلام العلوم الدينية القرآن الكريم والحديث الشريف، فنبغ نفر منهم وأصبحوا فيما بعد علماء مبرزين لهم شأنهم في المجتمع وسموا عتقاء الإمام زين العابدين عليه السلام^(٦٢).

وتذكر الروايات أن الإمام عليه السلام لم يكن يعتق أحداً حتى يهبه من الأموال والجوائز والعطايا ما يضمن معه أنه سينطلق في المجتمع انطلاقاً صحيحة، ولا يتركه يطلب ما في أيدي الناس أو يصبح عالة على المجتمع بل يضمن الإمام عليه السلام له حياة كريمة من خلال بعض الأموال التي يهبها له عند عتقه أو بعد عتقه^(٦٣).

لقد شكلت ظاهرة عتق العبید عند الإمام زين العابدين عليه السلام سمة بارزة في حياته الكريمة حتى كتب عنها جلُّ من تصدى لذكر سيرة الإمام عليه السلام العطرة وأرخ لحياته المجيدة، وما كانت هذه الظاهرة عند الإمام عليه السلام إلاَّ علاجاً واضحاً وناجعاً لأزمة كانت تهدد المجتمع الإسلامي، وهي ظاهر انتشار العبید والإماء ضمن بيئة

تعاني من كثير من الأمراض الاجتماعية، فكانت سياسة الإمام عليه السلام تقوم على إحياء نفوس هؤلاء العبيد من خلال تربيتهم تربية صحيحة وإعادة تم إلى الحياة الطبيعية بعد أن يحررهم ويعتق رقابهم من العبودية، ولا شك أن هذا العمل من الإمام عليه السلام كان إحياء ثانياً لهؤلاء الأفراد، وهو أهم من الإحياء الأولي أي إيجاد الفرد بعد أن لم يكن موجوداً، وذاك الإحياء الأولي يكون سببه المباشر الوالدان، ولكن ما نفع أن يكون الفرد موجوداً وهو لا يملك رقبة فهو عبدٌ لإنسان آخر. إن ظاهرة العبودية هي إمارة للأفراد، فكانت فلسفة الإمام عليه السلام تقوم على التصدي لهذه الظاهرة من خلال إحياء هؤلاء الأفراد ثانية، وإعادة دمجهم بالمجتمع، وأحسب أن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قد حقق نجاحات كبيرة في هذا المجال، وشكّل الرقيق الذين أعتقهم الإمام عليه السلام جيلاً من التلامذة الذين تربوا في بيته الطاهر وتلقوا الفضائل على يديه الكريمتين بأفضل شكل، وعاشوا معه حياة مفعمة بالحق والمعرفة، والصدق والإخلاص، وقد استقطب الإمام عليه السلام ولواء هؤلاء الموالى وأصبحوا فيما بعد مدافعين أشداء عن الإمام عليه السلام وأهل بيته في المدينة وما حولها^(٦٤).

لقد كان الإمام عليه السلام قدوة للأمة الإسلامية ومثالاً للمسلمين جميعاً وكان عمله هذا في التصدي لظاهرة العبودية وإحياء الناس ثانية، محط نظر وعناية من كثير من شيعته، وممن يقتدون به، ويقينا أن كثيرا من الميسورين كان يعتق بعض الغلمان تأسيساً بالإمام زين العابدين عليه السلام.

المبحث الثاني

الحياة المعنوية للفرد ومقومات إحيائها

يتقاسم حياة الفرد جانبان جانب مادي وجانب روحي معنوي وإذا كانت حياة الفرد المادية تتقوم بالوجود المادي العيني فإن حياة الروح تقوم بأمر أخرى سنذكر منها:

الإيمان بالله تعالى

كانت دعوة الأنبياء والرسل واحدة، وإن تعددت أوقاتها واختلفت بيئاتها، فالمبدأ الذي دعا إليه هؤلاء المكرمون دعوة الإنسان لعبادة الله الواحد الأحد، ونبذ الشرك والعبودية، وهذه هي الكلمة التي اشتركت بها كل الأديان ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(٦٥)، وأتباع أولئك الرسل إن آمنوا بالله واليوم الآخر وعملوا بشرعتهم ومنهاجهم الصحيح، فلهم الفوز عند ربهم، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٦٦)، فمبادئ الأديان الرئيسة واحدة (الإيمان بالله عز وجل، وتوحيده، ونبذ الشرك) وهذه الأسس هي قوام دعوة الدين عند الله تعالى، وقد وُصفَ الكافرون والمشركون في القرآن غير مرة بأنهم (أموات)، قال تعالى ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا

فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُينَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»^(٦٧)، قال الطوسي في تفسيرها: «والمعنى مَنْ كَانَ مِيتًا بِالْكَفْرِ فَصَارَ حَيًّا بِالإِسْلَامِ بَعْدَ الْكَفْرِ، كَالْمُصَرِّ عَلَى كُفْرِهِ؟!»^(٦٨). ومثلها قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾^(٦٩)، فقد وصف الله الكفار والمشركون بأنهم (أَمْواتٌ غيرُ أحياء)، وبقينا أن الموت هنا هو الموت المجازي، فليس المقصود بكلمة (الموت) معناها الأولي الذي دلالة فقدان الروح، بل معناه هنا فقدان مقومات الحياة الحقيقية للإنسان، ومعنى (فأحييناه) في الآية المباركة المتقدمة ليس بمعنى وهبناه الروح التي تحل في الجسد، بل معناها هو نفسه المقصود في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهُ تَحْشَرُونَ﴾^(٧٠)، فالحياة التي تدعو لها الآيات الكريمة هي الحياة المبنية على العلم والدين الحق الذي يخرج الفرد من ظلم العبودية والتسلط والانغلاق إلى أجواء التحرر والانقياد للحقيقة المطلقة، تلك هي عبادة الله الواحد الأحد القائمة على اليقين والتفكر والعلم والعمل، الموصلة إلى إدراك معنى الخلافة الإلهية^(٧١) وأن الإنسان في هذه المرحلة من وجوده مكلف بتحقيق أهداف معينة ليرتقي ويقرب من مصداق خليفة الله في الأرض.

أضرّت سياسة الأمويين بالناس فقد كان المجتمع الإسلامي أيامهم يعاني من تدهور خطير وانتكاسة كبيرة تهدد وجوده الإيماني فقد تمكن خلفاء بين أمية من السيطرة على مقاليد الحكم بدهاء ومكر وتسلط، وعاثوا في الأرض فسادا، وعملوا على تحريف دين الله بما يلائم أهواءهم وتحقيق مصالحهم الشخصية، وجعلوا من الإسلام واجهة لحكمهم يتسلطون من خلاله على رقاب الناس وأموالهم، أما حقيقة المعتقد فلا علاقة لهم به، بل أكثر من ذلك، وجد المفسدون والمبتلون والمشركون

والملحدون ساحة رحبة، وفسحة واسعة أيام بني أمية ليعشعشوا بين ضعاف المسلمين، وينشروا سمومهم وأفكارهم الإلحادية في المجتمع.

في ظل هذه الظروف كان لزاما على الإمام علي بن الحسين عليه السلام أن يعمل على زرع الإيمان بالله بين الناس وإنعاشه وتقويته في قلوبهم كان على الإمام عليه السلام أن يغرس الإيمان في نفوس الأفراد الذين تراودهم الشكوك بوجود الخالق المطلق رب الأرباب الواحد القهار، كما فعل جده المصطفى بداية بعثته، ولعل المهمة أيام الإمام عليه السلام كانت أكثر تعقيدا؛ إذ في زمن النبي الأكرم كان مجتمع الجزيرة العربية وما حولها مجتمعا بدويا تتحكم فيه الأعراف الجاهلية القبلية، ولكنه مجتمع يعتمد على الفطرة إلى حد ما، لم تلوثه المعتقدات الإلحادية الفاسدة كثيرا، أما في زمن بني أمية فقد انفتح العالم الإسلامي على بعض الثقافات والبيئات التي كانت تنتشر فيها أفكار الإلحاد والشرك، وتعرضها الشبه والأوهام، وغيرها من الأمور التي تعيق الإيمان في نفوس بعض الأفراد، أو تزعزع الإيمان وتزيله من ضعاف النفوس، من هنا كان مسؤولية الإمام علي بن الحسين كبيرة في التصدي للانحراف العقدي الذي يتعرض له المجتمع، ومع انتشار اللهو والمجون والتمايز الطبقي، وكثير من الأمراض الاجتماعية تزداد خطورة الأفكار الإلحادية في قتل الإيمان وقلعه من نفوس بعض الأفراد.

لقد وقف الإمام عليه السلام بالمرصاد لهذا الخطر ومنع موت كثير من أبناء المجتمع، من خلال إحياء الإيمان في قلوبهم، وقد سلك لتحقيق ذلك طريقا قريبة على النفوس، ففي الوقت الذي كانت في النفوس القلقة والضعيفة تهفو إلى الغناء والطرب، سلك الإمام زين العابدين عليه السلام طريق مناجاة الخالق بتلك المجموعة الكبيرة من الأدعية والمناجاة الشفافة التي تمثل رسائل بين العبد وخالقه، يستعطف بها الباري

ويدعو بها، ليلاً ونهاراً، قائماً وقاعداً، سرا وجهاراً، فكان الإمام يناجي ربه بالطف العبارات، وأرق الألحان، وكانت مناجاته تلك غناء الروح تجاه السماء، وكانت تلك العبارات بلسماً يغرس الإيمان، وينشره ويعززه في نفوس كل من يسمع تلك الأدعية أو يتعلمها من الإمام عليهما السلام، تطفح من جنباتها عبارات الانقياد والخضوع والتسليم والشكر والثناء والحمد والتسبيح لله تعالى، كل فقرة منها تحمل دفعات ضخمة من مشاعر الإيمان بالله عز وجل، كانت تلك العبارات تنتشر بين أفراد المجتمع انتشاراً سريعاً نافعا وتنفذ إلى سرائرهم؛ وذلك لأنهم يشاهدون إمامهم يلهج في الأوقات كلها، يرتلها وهو يذوب في العبادة والخضوع للباري تعالى شأنه.

لم يكن الإمام السجاد عليهما السلام متصنعا لأجواء العبادة والتعبد، لم يكن الإمام السجاد عليهما السلام متصوفاً، أو مريداً في تكية للتصوف، كان الإمام السجاد عليهما السلام عابداً حقيقياً لله تعالى عرف معنى العبادة وانغمس فيها فكل عضو من جسده يذوب في العبادة، وكل همسة من همساته عبادة، كل حركة منه عبادة وكل سكون منه عبادة، كل نفس يصعد وينزل في صدر الإمام عليهما السلام كان عبادة لله تعالى، لم تمر عليه لحظة دون عبادة، ولنستذكر بعض عباراته من بعض أدعيته ومناجاته:

كان الإمام عليهما السلام يفتتح أدعيته بحمد الله عز وجل والثناء عليه وتذكر نعمه، فيقول: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ بَلَا أَوَّلٍ كَانَ قَبْلَهُ، وَالْآخِرِ بَلَا آخِرٍ يَكُونُ بَعْدَهُ، الَّذِي قَصَرَتْ عَنْ رُؤْيَيْهِ أَبْصَارُ النَّاطِرِينَ، وَعَجَزَتْ عَنْ نَعْتِهِ أَوْهَامُ الْوَاصِفِينَ. ابْتَدَعَ بِقُدْرَتِهِ الْخَلْقَ ابْتِدَاعاً، وَاخْتَرَعَهُمْ عَلَى مَشِيَّتِهِ اخْتِرَاعاً. ثُمَّ سَلَكَ بِهِمْ طَرِيقَ إِرَادَتِهِ، وَبَعَثَهُمْ فِي سَبِيلِ مَحَبَّتِهِ، لَا يَمْلِكُونَ تَأْخِيراً عَمَّا قَدَّمَ لَهُمْ إِلَيْهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَقْدُماً إِلَى مَا أَخَّرَهُمْ عَنْهُ. وَجَعَلَ لِكُلِّ رُوحٍ مِنْهُمْ قُوَّةً مَعْلُوماً مَقْسُوماً مِنْ رِزْقِهِ، لَا يَنْقُصُ مَنْ زَادَهُ نَاقِصٌ، وَلَا يَزِيدُ مَنْ نَقَصَ مِنْهُمْ زَائِدٌ. ثُمَّ ضَرَبَ لَهُ فِي الْحَيَاةِ أَجَلاً مَوْقُوتاً،

وَنَصَبَ لَهُ أَمَدًا مَّحْدُودًا، يَتَخَطَّى إِلَيْهِ بِأَيَّامِ عُمْرِهِ وَيَرْهَقُهُ بِأَعْوَامِ دَهْرِهِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَقْصَى أَثَرِهِ وَاسْتَوْعَبَ حِسَابَ عُمْرِهِ، قَبَضَهُ إِلَى مَآئِدَتِهِ إِلَيْهِ مِنْ مَوْفُورِ ثَوَابِهِ، أَوْ مَحْذُورِ عِقَابِهِ ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ عَدْلًا مِنْهُ، تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ، وَتَظَاهَرَتْ آلَاؤُهُ ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ ((٧٢)،

يلاحظ أن الإمام عليه السلام يفتتح خطابه مع الباري بحمده تعالى ذكره، ثم تذكير النفس والآخرين بأن الله تعالى هو أصل الوجود، وهو المنعم علينا بالإيجاد، وهو الأول قبل كل أول، وسيبقى الله تعالى بعد فناء كل شيء، فهو الأول والآخر، وفي هذا تذكير بالآية الكريمة ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ ((٧٣)، ثم يذكر ببعض صفات الله تعالى، فليس الله بجسم يرى ولا محدود يُحسُّ بالحواس، فذاته المقدسة فوق أوهام العقول، وما يتصوره المبطلون، ثم يذكر بعظيم خلق الله الذي خلق ما شاءت إرادته وحكمته من الخلق، وكيف قدر لهم آجالاً ينتهون إليها، فهو المسيطر على خلقه، وهذا الخلق كله بعظمته مستجيب لإرادة خالقه، لا يملك دون إرادته شيئاً. تمثل هذه المقدمة مفتتح الدعاء عند الإمام زين العابدين عليه السلام وهي دالة على اعتراف الداعي وخضوعه لمولاه، وتعظيمه لقدرته غير المتناهية، وعجز هذا الداعي الضعيف عن فعل أي شيء دون توفيق الله وإرادته؛ لذا يلجأ العبد الفقير إلى مولاه القادر معترفاً له بالقوة والغلبة والقهر والجبروت، ليطلب منه العون والتوفيق لعبادته والتضرع بين يديه ولا شك أن هذا المقطع يفتح بالإيمان والانقياد والتذلل والخضوع والمسكنة للخالق القادر والمسيطر الجبار عز ذكره.

ثم يتابع عليه السلام خطابه لربه قائلاً: ((وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا عَرَفْنَا مِنْ نَفْسِهِ، وَأَلْهَمَنَا مِنْ شُكْرِهِ، وَفَتَحَ لَنَا مِنْ أَبْوَابِ الْعِلْمِ بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَدَلَّنَا عَلَيْهِ مِنَ الْإِخْلَاصِ لَهُ فِي تَوْحِيدِهِ، وَجَنَّبَنَا مِنَ الْإِلْحَادِ وَالشَّكِّ فِي أَمْرِهِ. حَمْدًا نَعْمُرُّ بِهِ فِي مَنْ حَمَدَهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَنَسْبِقُ بِهِ مَنْ سَبَقَ إِلَى رِضَاهِ وَعَفْوِهِ. حَمْدًا يُضِيءُ لَنَا بِهِ ظُلُمَاتِ الْبَرْزَخِ، وَيُسَهِّلُ عَلَيْنَا بِهِ سَبِيلَ

الْمُبْعَثِ، وَيُشْرَفُ بِهِ مَنَازِلُنَا عِنْدَ مَوَاقِفِ الْأَشْهَادِ، يَوْمَ ﴿تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾
 ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾، حَمْدًا
 يَرْتَفِعُ مِنَّا إِلَى أَعْلَى عِلِّيِّينَ فِي كِتَابِ مَرْقُومٍ ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ حَمْدًا تَقَرُّ بِهِ عُيُونُنَا إِذَا
 بَرَقَتِ الْأَبْصَارُ، وَتَبَيَّضَ بِهِ وُجُوهُنَا إِذَا اسْوَدَّتِ الْأَبْشَارُ. حَمْدًا نَعْتَقُ بِهِ مِنْ أَلِيمِ نَارِ
 اللَّهِ إِلَى كَرِيمِ جِوَارِ اللَّهِ. حَمْدًا نَزَاحِمُ بِهِ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ، وَنَضَامُ بِهِ أَنْبِيََاءَهُ الْمُرْسَلِينَ فِي
 دَارِ الْمُقَامَةِ الَّتِي لَا تَزُولُ، وَمَحَلِّ كَرَامَتِهِ الَّتِي لَا تَحُولُ.....^(٧٤).

يتابع الإمام عليهما السلام حمد الله تعالى محاولاً الوصول إلى حمد الله حق حمده، معترفاً
 بالوقت نفسه أن حق الله تعالى في الحمد لا يقدر على إحصائه غيره عز شأنه، مذكراً
 العباد أن الله تعالى من لطفه ورأفته بالعباد عرفهم بعض خصائص ذاته المقدسة
 وصفاتها، ليعرفوا عظمتها، ويعلموا عظيم حقها عليهم، وأن الله تعالى هو الذي
 ألهم عباده شكره؛ ليكون هذا الشكر سبباً لدوام نعمه عليهم، وزيادة عطائه لهم، ثم
 إن هذا الخالق الرحيم هو الذي هدى العباد للعلم، وطلب إليهم الولوج في طريقه،
 والتفكير في أسباب خلقه، واستكشاف خصائص هذا الخلق ومميزاته، وكل ذلك
 ليتعرف الخلق عظيم قدرة الله تعالى، وقوته وتديره؛ فيعبدوه عبادة العبد المنقطع
 إلى ربه، العارف بفضلله وعظمته. وهكذا يستمر الإمام عليهما السلام في حمد الله تعالى في
 فقرات متتابعة يقلب فيها أوجه استحقاق الحمد لله على عباده وتطول هذه الفقرات
 وتنوع، لينتهي فيها إلى حمد الله على نعمة عظيمة قائلاً: ((وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا
 بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ ﷺ دُونَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَالْقُرُونِ السَّالِفَةِ، بِقُدْرَتِهِ الَّتِي لَا تَعْجِزُ عَنْ
 شَيْءٍ وَإِنْ عَظُمَ، وَلَا يَفُوتُهَا شَيْءٌ وَإِنْ لُطِفَ. فَخَتَمَ بِنَا عَلَى جَمِيعِ مَنْ ذَرَأَ، وَجَعَلَنَا
 شُهَدَاءَ عَلَى مَنْ جَحَدَ، وَكَثَّرْنَا بِمَنِّهِ عَلَى مَنْ قَلَّ. اللَّهُمَّ فَصِّلْ عَلَى مُحَمَّدٍ أَمِينِكَ عَلَى
 وَحْيِكَ، وَنَجِيَّتِكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَصَفِيَّتِكَ مِنْ عِبَادِكَ، إِمَامَ الرَّحْمَةِ، وَقَائِدَ الْخَيْرِ، وَمِفْتَاحَ
 الْبَرَكَةِ. كَمَا نَصَبَ لَأَمْرِكَ نَفْسَهُ، وَعَرَّضَ فِي كُلِّ مَكْرُوهِ بَدَنَهُ، وَكَاشَفَ فِي الدُّعَاءِ

إِلَيْكَ حَامَتَهُ، وَحَارَبَ فِي رِضَاكَ أَسْرَتَهُ وَقَطَعَ فِي إِحْيَاءِ دِينِكَ رَحِمَهُ...^(٧٥)، هنا يذكر الإمام عليه السلام ويذكر العباد أن نبينا الأكرم عليه السلام من مصادر الرحمة الإلهية وقد حبانا الله تعالى به دون الآخرين، فكوننا من أتباع خاتم الأنبياء والحبيب المصطفى عليه السلام نعمة من نعم الله علينا يستوجب بها الله تعالى الشكر والثناء، وهذه النعمة من أعظم النعم، ثم يأخذ الإمام عليه السلام بتعداد بعض خصائص النبي الخاتم وصفاته الكريمة التي استوجب بها تلك المكانة الرفيعة عند الله تعالى، ولا شك أن تعداد تلك الصفات تذكير للناس بعظيم مكانة نبيهم واستحقاقه تلك المنزلة الرفيعة عند الخالق سبب لإيجاب تعظيمهم لمكانته وتقديسهم لذكره فقد أنقذهم الله تعالى به.

وإذا كان التوكل على الله من صفات العبد المؤمن فإننا نجد الإمام علي بن الحسين عليه السلام من أشد المتوكلين على الله، مفوضا إليه أمره، وموكلا إليه كل ما أهمه، ويعلم أتباعه وأصحابه أن يتوكلوا على الله فهو كافيهم، يقول عليه السلام في بعض أدعيته: ((يا مَنْ تَحَلَّى بِهِ عُقْدُ الْمَكَارِهِ، وَيَا مَنْ يُفْتَأُ بِهِ حَدُّ الشَّدَائِدِ، وَيَا مَنْ يُلْتَمَسُ مِنْهُ الْمَخْرَجُ إِلَى رَوْحِ الْفَرَجِ، ذَلَّتْ لِقُدْرَتِكَ الصَّعَابُ، وَتَسَبَّتْ بِلُطْفِكَ الْأَسْبَابُ، وَجَرَى بِقُدْرَتِكَ الْقَضَاءُ، وَمَضَتْ عَلَى إِرَادَتِكَ الْأَشْيَاءُ، فَهِيَ بِمَشِيَّتِكَ دُونَ قَوْلِكَ مُؤْتَمِرَةٌ، وَإِرَادَتِكَ دُونَ نَهْيِكَ مُنَزَجِرَةٌ، أَنْتَ الْمَدْعُوُّ لِلْمُهَمَّاتِ، وَأَنْتَ الْمَفْرَعُ فِي الْمَلَبَّاتِ، لَا يَنْدَفِعُ مِنْهَا إِلَّا مَا دَفَعْتَ، وَلَا يَنْكَشِفُ مِنْهَا إِلَّا مَا كَشَفْتَ...))^(٧٦)، يلاحظ في هذه الفقرة من دعائه عليه السلام تقرير العبد أن الأشياء في هذا الوجود كلها ذليلة لقدرة الله تعالى وهي مسارعة للاستجابة لمشيئته، وأن هذا الوجود ينزجر إذا نهاه الله تعالى عن أمر، ثم إن من يمتلك هذه القدرة العظيمة لا ريب سيكون ملجأ للطلبة والسؤال وكهفا للخائفين وملاذا للسائلين فلا بد أن يهرب العبد إليه؛ إذ بيده تسيير الأمور ولا يعجزه شيء منها. ويستمر دعائه في أجواء غاية في التوكل والاستسلام لإرادة الله تعالى.

يتدفق الإيمان في كل جملة من أدعية الإمام زين العابدين ومناجاته، ويؤكد عليه السلام أن معرفة الله تعالى لا تحتاج من الفرد إلى كثير من التفكير والتدبر؛ فهو أوضح من أن يستتر عن عباده: ((سُبْحَانَكَ مَا أَضْيَقَ الطُّرُقَ عَلَى مَنْ لَمْ تَكُنْ دَلِيلَهُ، وَمَا أَوْضَحَ الْحَقَّ عِنْدَ مَنْ هَدَيْتَهُ سَبِيلَهُ، إِلَهِي فَاسْأَلُكَ بِمَا سُبُلَ الْوُصُولِ إِلَيْكَ وَسَيِّرْنَا فِي أَقْرَبِ الطُّرُقِ لِلْوُفُودِ عَلَيْكَ وَقَرِّبْ عَلَيْنَا الْبَعِيدَ وَسَهِّلْ عَلَيْنَا الْعَسِيرَ الشَّدِيدَ))^(٧٧)، وكان عليه السلام يناجي ربه في السحر من ليالي شهر رمضان قائلاً: ((وَأَعْلَمُ أَنَّكَ لِلرَّاجِي بِمَوْضِعِ إِجَابَةٍ وَلِلْمَلْهُوفِينَ بِمَرَضِدِ إِغَاثَةٍ، وَأَنَّ فِي اللَّهْفِ إِلَى جُودِكَ، وَالرِّضَا بِقَضَائِكَ عَوْضًا مِنْ مَنْعِ الْبَاخِلِينَ، وَمَنْدُوحَةً عَمَّا فِي أَيْدِي الْمُسْتَأَثَرِينَ، وَأَنَّ الرَّاحِلَ إِلَيْكَ قَرِيبُ الْمَسَافَةِ، وَأَنَّكَ لَا تَحْتَجِبُ عَنْ خَلْقِكَ إِلَّا أَنْ تَحْجُبَهُمُ الْأَعْمَالُ دُونَكَ))^(٧٨).

نعم إن الله تعالى قريب من العباد فقد قال تعالى ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(٧٩)، وقال عز وجل ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(٨٠)، لذا نرى الإمام عليه السلام يؤكد أن الله تعالى لطيف بعباده وكافل من توكل عليه ولا يتطلب الأمر من العبد غير العبادة الحقة، لذا نراه يقرر في رسالة الحقوق أن أوَّل الحقوق الواجبة على العبد حق العبادة المخلصة لله تعالى، إذ يقول عليه السلام: ((فأما حق الله الأكبر فإنك تعبد له لا تشرك به شيئاً، فإذا فعلت ذلك بإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة ويحفظ لك ما تحب منها))^(٨١)، وهكذا يضع الإمام زين العابدين عليه السلام معادلة متساوية الطرفين، طرفها الأول: عبادة مخلصة لله تعالى دون شرك تعادل في طرفها الثاني (ان يكفيك الله أمر الدنيا ويحفظ لك منها ما تحب) واي شيء يجب الإنسان في هذه الدنيا غير زينتها الأموال والبنين والجاه العريض بين الناس، كل هذه يتكفل بها الله تعالى للعبد في دنياه إذا كان العبد مخلصاً في عبوديته لله تعالى ولا يشرك بربه أحداً.

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه الشهير الذي كان يدعو به في السحر، ولقنه لتلميذه أبي حمزة الثمالي: ((سَيِّدِي أَنَا الصَّغِيرُ الَّذِي رَبَّيْتُهُ وَأَنَا الْجَاهِلُ الَّذِي عَلَّمْتُهُ وَأَنَا الضَّالُّ الَّذِي هَدَيْتُهُ وَأَنَا الْوَضِيعُ الَّذِي رَفَعْتُهُ وَأَنَا الْخَائِفُ الَّذِي أَمَّنْتُهُ وَالْجَائِعُ الَّذِي أَشْبَعْتُهُ وَالْعَطْشَانُ الَّذِي أَرْوَيْتُهُ وَالْعَارِي الَّذِي كَسَوْتُهُ وَالْفَقِيرُ الَّذِي أَغْنَيْتُهُ وَالضَّعِيفُ الَّذِي قَوَّيْتُهُ وَالذَّلِيلُ الَّذِي أَعَزَّزْتُهُ وَالسَّقِيمُ الَّذِي شَفَيْتُهُ وَالسَّائِلُ الَّذِي أَعْطَيْتُهُ وَالْمُذْنِبُ الَّذِي سَتَرْتُهُ وَالْخَاطِي الَّذِي أَقْلَتُهُ، وَأَنَا الْقَلِيلُ الَّذِي كَثَّرْتُهُ وَالْمُسْتَضَعْفُ الَّذِي نَصَرْتُهُ وَأَنَا الطَّرِيدُ الَّذِي أَوَيْتُهُ))^(٨٢)، يتذكر العبد آلاء الله عليه ونعمه المتوالية لديه فمنذ الصغر ترعاه عناية الله فتربيه وتنتقل العناية به حالا بعد حال فتعلمه بعد جهله وتهديه من ضلاله، وترفع شأنه بعد وضعته وترزقه بعد فقره وتشبعه بعد جوع وهكذا تتوالى النعم على العبد، ولكن العبد يقابل ذلك الإحسان بالجحود والمعصية، واقتراف الذنوب، وسرعان ما يعود المؤمن إلى ساحة ربّه فيرجو الرحمة الإلهية معترفا بذنبه وتقصيره طالبا العفو والصفح من الغني المطلق. إن هذا الإحصاء من الإمام عليه السلام لأنعم الله على العباد كفيل بأن يقتلع جذور الوثنية وبذور الشرك من نفوس المرتابين والكافرين ويرجع بالنفوس المضطربة إلى جادة الصواب، لتنبذ الهواجس من القلوب وتطرح الشبهات من العقول وتخلصها إلى عبادة الله الواحد الأحد مخلصه له في العبودية^(٨٣).

إنَّ تقصي حالات الإيثار المطلق والعبودية الحقة في أدعية الإمام علي بن الحسين عليه السلام لا تسعه آلاف الصفحات التي يمكن كتابتها في تحليل أدعية الإمام عليه السلام المتواترة عنه في الصحيفة السجادية أو غيرها وكانت واحدة من فوائد تلك الأدعية العودة بأفراد المجتمع إلى أسس الإسلام الأولى القائمة على التوحيد والإخلاص في العبادة والعبودية، يتلمس تلك الأصول بحرارة وشوق وينميها في نفوس الأفراد، بعد أن تعرضت تلك الأسس في نفوس بعض الأفراد إلى الاهتزاز

والتراخي في ظل حكم بني أمية. فيحيي من خلاها أولئك الأفراد حياة يريد بها الله ورسوله حياة قائمة على العلم والعمل وبناء الذات والترقي بالمجتمع إلى درجات الكمال.

الرحمة

تمثل الرحمة في نفوس الأفراد سمة من سمات الإنسانية وهي صفة تحيي الفرد، وتنقله من مراتب الحيوانية إلى مراتب الآدمية والإنسانية، وقد حثت تعاليم السماء على الرحمة، وندبت إليها وكانت صفتا (الرحمن والرحيم) من أكثر الصفات تكرارا في القرآن الكريم؛ فقد تكررت لفظة (الرحمن) في القرآن المجيد ١٥٧ مرة وتكررت لفظة (الرحيم) ١٤٦ مرة، وتكررت هاتان الصفتان في بداية كل سورة من سور القرآن الكريم إشعاراً للعباد برحمته الله ولطفه بهم، ثم إن الله تعالى وصف نفسه (بذي الرحمة) مرتين قال تعالى ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾^(٨٤)، وقال عز من قائل ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾^(٨٥)، وإشاعة من الباري عز وجل للأمل فقد أعلن لعباده عن رحمته الواسعة قائلا ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٨٦) وقال تبارك وتعالى ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾^(٨٧)، كل هذه الآيات الكريمة تنبه العباد على أهمية التراحم فيما بينهم وأن العبد المؤمن يجب أن يحيي في قلبه الرحمة للناس كلهم لأنها من صفات الخالق والعبد واجب عليه أن يتأسى بصفات ربه.

كان الإمام علي بن الحسين عليهما السلام أرحم الناس بمن حوله ولم يفرق في رحمته بين أهل بيته وعبيده وسائر الناس بل شملت رحمته أعداءه، وكل ذلك إشعاراً منه لنا

بأهميّة التراحم بين الناس لأنه سبيل لإحياء الفرد وضمان كرامته وعزته ومن ثم تكون الرحمة سبباً للإيمان والترقي في مراتب الكمال.

مرّ علينا آنفاً كيف أن الإمام عليّاً (عليه السلام) كان يرحم عبده فكلما أخطأ العبد منهم رحمه وغفر له بل قد يعتقهم إذا رأى أن في ذلك صلاحاً لهم، فقد أعتق مملوكة له رحمة بها حينما سقط من يدها إبريق الماء على وجهه الشريف، وأعتق غلاماً تسبب في مقتل ابن له خطأً وأعتق غلاماً لما لم يجب ندائه، وهكذا كان إمامنا يرحم هؤلاء الأفراد ويلطف بهم إحياء منه لهم وتكريماً لإنسانيتهم. وبذا كان إمامنا مثلاً أعلى بين الخلق في الرحمة.

من مظاهر الرحمة التي كان يتحلّى بها الإمام زين العابدين (عليه السلام) أنه يعامل مربيته مثلما يعامل الفرد الرحيم أمّه فعلى شدّة محبته لها وبره بها كان يأبى أن يشاركها الطعام في إناء واحد، فلما سُئل عن ذلك قال: ((إني أكره أن تسبق يدي إلى ما سبقت عينها إليه...))^(٨٨)، ومن مظاهر الرحمة التي كان يمارسها الإمام زين العابدين (عليه السلام) إعالته للفقراء والمساكين من أهل المدينة فقد ((كان يعول مائة أهل بيت من فقراء المدينة، وكان يعجبه أن يحضر طعامه اليتامى والاضراء والزمنى والمساكين الذين لا حيلة لهم، وكان يناولهم بيده، ومن كان له منهم عيال حمله من طعامه إلى عياله، وكان لا يأكل طعاماً حتى يبدأ ويتصدق بمثله))^(٨٩).

لقد تجاوزت حدود الرحمة عند الإمام زين العابدين (عليه السلام) ما يتعارف عليه البشر وسمت به نفسه الكريمة إلى أن يرحم أعداءه ومن يلحقون الأذى به فقد كان والي المدينة هشام بن إسماعيل المخزومي، قد أساء جوار الإمام، ولحقه منه أذى كثير، فلما مات عبد الملك، عزله الوليد بن عبد الملك، وأوقفه للناس؛ كي يقتصوا منه، فقال: «والله إني لا أخاف إلا علي بن الحسين، فمر عليه الإمام عليّاً (عليه السلام)، وسلم عليه، وأمر

خاصته أن لا يتعرض له أحد بسوء، وأرسل له: ((إن كان أعجزك مال تؤخذ به، فعندنا ما يسعك، ويسد حاجتك، فطب نفسا منا، ومن كل من يطيعنا))، فقال له هشام بن إسماعيل: الله أعلم حيث يجعل رسالته^(٩٠)، إن رحمة الإمام عليه السلام لأعدائه كانت أنموذجا مثاليا لا يقوم به إلا من تحلى بخلق السماء وآمن بها عن يقين، فالإمام عليه السلام لما كان خليفة الله في أرضه كان أكثر عباده اتصافا بصفات الباري وقربا منها، فنراه يعفو ويرحم ولا يضره شيء ولا يسعى إلى التشفي بمن كان يؤذيه بل يغفر ويصفح ويلتمس الأجر من عند الغني المطلق ولقد كانت فائدة تلك الرحمة أن هذا الفرد أصبح محبا للإمام عليه السلام ومعتزفا بفضلته عليه.

إن عفو الإمام عليه السلام عن المذنبين كانت غايته إحياء هؤلاء الأفراد وإعادةهم إلى ساحة الإنسانية، بعد أن ابتعدوا عنها. لم يكتف زين العابدين عليه السلام بممارسة الرحمة عمليا وإن كانت هي الأعمق تأثيرا في النفوس، بل كان ينتهز الفرص فيوصي أصحابه بالرحمة في طائفة من الأفراد فقد جاء في رسالة الحقوق قوله: ((وحق الصغير رحمته في تعليمه، والعفو عنه، والستر عليه، والرفق به، والمعونة له...))^(٩١)، فالصغير سواء أكان ابنك أم لا فله حق عليك أن تعلمه لأنك بتعليمك له تكون قد رحمته مما يهلكه، وهذا التعليم مهما كان قليلا فهو رحمة منك له وبناء للبشرية ومظهر من مظاهر الإنسانية وبه إحياء للفرد.

ويستمر الإمام علي بن الحسين عليه السلام في تعداد من له حق الرحمة عليك فهناك أكثر من شخص عليك أن ترحمه فيقول: ((وأما حق الزوجة فأن تعلم أن الله عز وجل جعلها لك سكنا وأنسا، فتعلم أن ذلك نعمة من الله عز وجل عليك فتكرمها وترفق بها، وإن كان حقك عليها أوجب، فإن لها عليك أن ترحمها، لأنها أسيرك، وتطمعها وتكسوها، وإذا جهلت عفوت عنها،...، وأما حق الصاحب فأن تصحبه

بالتفضل والإنصاف، وتكرمه كما يكرمك ... (الى أن يقول) ... وكن عليه رحمة، ولا تكن عليه عذابا، وحق المستنصح أن تؤدي إليه النصيحة، وليكن مذهبك الرحمة له والرفق، وحق الناصح أن تلين له جناحك وتصغي إليه بسمعك. فإن أتى بالصواب حمدت الله عز وجل، وإن لم يوافق رحمته ولم تتهمه ...))^(٩٢).

لقد احتلت الرحمة مساحة واسعة في رسالة الحقوق، إذ أوصى بها إمامنا وعدّها حقاً من الحقوق الواجبة على الفرد تجاه الصغير، والزوجة، والصاحب، والمستنصح، والناصح، فهؤلاء خمسة أصناف، ممن يحيطون بك لهم عليك حق الرحمة، إحياء لهم ولطفاً بهم، ثم لا يكتف الإمام عليه السلام بالرحمة لهؤلاء فحسب، بل يقرر أنّ الرحمة حق واجب عليك لأهل ملتك جميعاً؛ إذ يقول: ((وحق أهل ملتك إضمار السلامة والرحمة لهم، والرفق بمسيئتهم وتآلفهم، واستصلاحهم ...))^(٩٣)، فهذه قاعدة عامة أن ترحم أهل ملتك والملة هنا تشمل كل جماعة تجمعهم بك صلة فالمسلمون إذا ما وازنتهم بغير المسلمين فهم أهل ملتك والموحدون إذا ما قسّتهم بغير الموحدين يكونون أهل ملتك، ثم أهل مذهبك أهل ملتك وخاصتك، ثم أهل صنفك في العمل أهل ملتك، وهكذا قد يتوسع هذا المفهوم ليشمل مصاديق عديدة، وبذا تكون الرحمة واجبة لهؤلاء كلهم، وعندها سنجد أن الرحمة سمة إنسانية تعمل على إحياء الأفراد، ورفع مكانتهم وإيصالهم إلى مراتب الإنسانية العليا.

تجاوزت رحمة الإمام عليه السلام بني آدم فقد كان يرحم الحيوان مشعراً أن الإنسان بحكم ولايته على الأرض وخلافته لله تعالى عليه أن يحسن التصرف فيما أولاه الله تعالى من النعم وأن يرحمها، تذكر الروايات أن الإمام عليه السلام كانت له ناقة يحج عليها سنين طوال ((فما قرعها بسوط ولقد بركت به سنة من سنواته فما قرعها بسوط))^(٩٤)، ويروي لنا الإمام الصادق عليه السلام ذلك قائلاً: ((قال علي بن الحسين لابنه

محمد عليه السلام حين حضرته الوفاة، إني قد حججت على ناقتي هذه عشرين حجة فلم أقرعها بسوط قرعة، فإذا نفقت فادفنها لا يأكل لحمها السباع، فان رسول الله ﷺ قال: كل بعير يوقف عليه موقف عرفة سبع حجج إلا جعله الله من نعم الجنة، وبارك في نسله، فلما نفقت حفر لها أبو جعفر عليه السلام ودفنها^(٩٥)، يلاحظ أن رحمة الإمام عليه السلام قد وسعت الحيوان فضلا عن الإنسان ولا شك أن شيوع الرحمة بهذا الشكل في نفس الإنسان مدعاة للفخر والاعتزاز وهي اقتراب من قيم السماء وتمثل لها، وهي من درجات الإيمان العليا التي تدفع المؤمن إلى محاكاة صفات الباري عز وجل، وبقينا أن شيوع الرحمة في المجتمع كانت غاية من غايات الإمام زين العابدين عليه السلام لأنها سبب لإحياء الأفراد.

الحلم

لقد وصف الله ذاته المقدسة بأنه حلیم في اثني عشر موضعا في القرآن الكريم، في ستة مواضع منها كان يرافق هذه الصفة صفة الغفور، فيقول تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾^(٩٦)، ومعنى الحلم «الإمهال بتأخير العقاب على الذنب، وأصل الباب الحلم: الأناة»^(٩٧)، ويبيّن لنا الإمام علي بن الحسين عليه السلام سبب حلم الله تعالى بعباده في واحد من أدعيته التي كان يناجي بها ربه إذ يقول: ((إِلَهِي إِنْ رَفَعْتَنِي فَمَنْ ذَا الَّذِي يَضْعُونِي، وَإِنْ وَضَعْتَنِي فَمَنْ ذَا الَّذِي يَرْفَعُونِي، وَإِنْ أَكْرَمْتَنِي فَمَنْ ذَا الَّذِي يُهِنُونِي، وَإِنْ أَهْتَنَيْتَنِي فَمَنْ ذَا الَّذِي يُكْرِمُونِي، وَإِنْ عَذَّبْتَنِي فَمَنْ ذَا الَّذِي يَرْحَمُنِي، وَإِنْ أَهْلَكْتَنِي فَمَنْ ذَا الَّذِي يَعْرِضُ لَكَ فِي عَبْدِكَ، أَوْ يَسْأَلُكَ عَنْ أَمْرِهِ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي حُكْمِكَ ظُلْمٌ، وَلَا فِي نَقِمَتِكَ عَجَلَةٌ، وَإِنَّا يَعْجَلُ مَنْ يَخَافُ الْفُوتَ، وَإِنَّا يَحْتَاجُ إِلَى الظُّلْمِ الضَّعِيفُ، وَقَدْ تَعَالَيْتَ يَا إِلَهِي عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا))^(٩٨)، فمع استحقاق العبد للعقوبة بما اقترفت يدها وقدرة الباري على إنزاله به في أي وقت يشاء إلا أن الله تعالى يمهل العبد وقتا

طويلاً رجاء للتوبة وأملًا في العودة إلى ساحة الرحمة الإلهية، ولماذا يعجل الله تعالى على العبد في العقوبة ومصيره إليه ومآله إلى محكمته وأمره بيده عز شأنه لا يخرج عن حكمه شيء، فكانت الحكمة من الحلم على العباد رجاء توبتهم ومنحهم فرصة جديدة لإحيائهم ورجوعهم إلى العبودية بعد أن خرجوا بالمعصية من ساحة الطاعة الإلهية، ولما كانت فلسفة الحلم تقوم على منح الآخر فرصة ثانية مع قدرة الحليم عليه وتمكنه منه كانت هذه الصفة حياة أخرى حياة جديدة للفرد، فهي وسيلة من وسائل إحياء الفرد كلما أمت قلبه الذنوب والمعاصي.

كانت سياسة الإمام عليه السلام في الإحياء تقوم على ترسيخ المفاهيم الإحيائية السماوية، فلما كان الله تعالى حليماً بعباده، فمن الحسن أن يكون العبد متصفاً بهذه الصفة، لذا نرى الإمام زين العابدين حليماً، ويدعو إلى الحلم، فعن أبي جعفر عليه السلام قال: ((كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: انه ليعجبني الرجل أن يدركه حلمه عند غضبه))^(٩٩)، ويقينا أن ما يعجب الإمام عليه السلام صفة محبذة شرعاً، ويلاحظ أن الإمام عليه السلام يخص الحلم أن يكون وقت الغضب، لأن الغضب من الأوقات التي تخرج الفرد عن مساره العقلي الصحيح فقد يجور في حكمه وقد يطيش في تصرفه، وهذان الموردان أدعى للمؤمن أن يمسك فيهما نفسه فيحلم على أخيه وإن كان قد تجاوز عليه فيمنحه فرصة جديدة ليعود إلى رشده ولعله يعتذر عن خطأه وينقلب معتذراً، وبذلك يكون الحلم من الوسائل التي تكمل شخصية الفرد المثالية والتي ترتقي به في مدارج الكمال والتكامل.

وقد عدَّ الإمام زين العابدين عليه السلام الحلم من مكملات شخصية العبد المسلم إذ يقول: ((إن المعرفة بكمال دين المسلم تركه الكلام فيما لا يعنيه، وقلة مرأته، وحلمه، وصبره، وحسن خلقه))^(١٠٠)، إذن هذه الصفات الخمس يكمل بعضها بعضاً،

وتعمل على إكمال مواصفات العبد المسلم. وهكذا يؤكد الإمام زين العابدين عليه السلام أنَّ الحلم صفة من صفات المؤمن فيقول: ((علامات المؤمن خمس: الورع في الخلوة، والصدقة في القلَّة، والصبر عند المصيبة، والحلم عند الغضب، والصدق عند الخوف))^(١٠١)، خلاصة الأمر أن الحلم يمثل فرصة جديدة يمنحها الحليم للآخر فهي من وسائل الإحياء التي رعتها السماء، وكانت للبشر نقطة انطلاق جديدة نحو ساحة العفو الإلهي للعودة إلى عبادة الله والخضوع لإرادته كلما زلت قدم الإنسان به في متاهات هذه الحياة الدنيا. وقد اعتمد الإمام علي بن الحسين عليه السلام على هذه الصفة في سياسته الإحيائية وقت إمامته، فمنح بها فرصاً لإحياء بعض الأفراد العصاة.

كانت هذه ثلاثة أسس اعتمدها الإمام علي بن الحسين عليه السلام في الإحياء المعنوي للأفراد، وبقينا أنَّ هناك أسسا مقومة للحياة المعنوية غيرها ولكن لضيق المقام اقتصرنا على هذه الثلاثة.

المبحث الثالث

حياة المجتمع ومقومات إحيائه

مقومات إحياء المجتمع تكمن في جانبين مهمين

الجانب الأول: تعزيز الظواهر الإيجابية في المجتمع، وتقوية الأواصر الاجتماعية بين أفراد المجتمع وتمتينها، ويمكن تحقيق ذلك بمجموعة من النشاطات الاجتماعية منها:

تكوين الأسرة الصالحة

حرص الإمام عليه السلام على أن تعيش الأسرة في أجواء هادئة مطمئنة وذلك بتنظيم العلاقات والروابط التي تحكم نسيج هذه البنية الاجتماعية فقد بين في (رسالة الحقوق) واجبات كل فرد من أفراد الأسرة ووضح حقوقه على الآخرين، وبدأ مع الإمام عليه السلام ببيان حقوق الأبوين إذ هما الدعامتان الرئيستان في هذا الهيكل، ويقدم حق الأم على الأب عناية بها ورعاية لعظيم منزلتها في الأسرة فهي الأساس المتين وهي نظام الأسرة فيقول عليه السلام في حقها: ((وأما حق أمك أن تعلم أنها حملتك حيث لا يحتمل أحد أحدا، وأعطتك من ثمرة قلبها ما لا يعطي أحد أحدا، ووقتك بجميع جوارحها، ولم تبال أن تجوع وتطعمك وتعطش وتسقيك، وتعري وتكسوك وتضحى وتظلك، وتهجر النوم لأجلك ووقتك الحر والبرد لتكون لها وأنك لا تطيق

شكرها إلا بعون الله وتوفيقه))^(١٠٢)، يبين الإمام عليه السلام بالتفصيل أن أكبر فضل للأم على الفرد أنها حملته في أحشائها، وتحملت لأجله ما لا يحتمل أحد من أجل آخر، وأعطته من قواها ومن عناصر جسمها، فهي تبني ولدها بهرم جسمها وقد اثبت العلم الحديث أن الأم قد تفقد كثيرا من الكالسيوم في أثناء الحمل لأنه تغذي ولدها به ما يجعلها بعد الولادة تعاني من نقص كبير في هذا العنصر قد يؤدي بها إلى سقوط بعض أسنانها أو استهلاك بعض مفاصلها، من هنا كان الإمام عليه السلام يبين أنها تعطي ولدها من ثمرة قلبها ما لا يعطيه معط لفرد آخر مهما كان عزيزا، ثم بعد الولادة تبدأ مرحلة جديدة من المعاناة والألم والتعب، تكابدها بفرح وشغف وحب وحنان، لا تظهر جزعا، ولا تعباً حتى ترى ولدها أصبح رجلا فإذا بها تستشعر ألم تلك الأيام وتجدها قد تعبت في تربيته وهرمت لأجله وأفنت زهرة شبابها من أجل هذه الأسرة، ولعمري أن حق الأم عظيم لا يفي به إلا من وفقه الله لذلك.

ثم ينتقل عليه السلام إلى بيان حق الأب: ((وأما حق أبيك فأن تعلم أنه أصلك؛ فإنه لولاه لم تكن، فمهما رأيت من نفسك ما يعجبك، فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فيه، فاحمد الله، واشكره على قدر ذلك، ولا قوة إلا بالله))^(١٠٣)، يذكر الإمام عليه السلام كل فرد في هذه الأسرة بعظيم منزلة الأب وحقه الكبير بينهم فهو الأصل في تكوين هذه الأسرة فقد أجهده نفسه وبذل ماله ووقته في تكوينها وحرص على تأمين مستلزمات العيش الكريم لأفرادها وهياً لها الأجواء الآمنة المستقرة لتتعم بالطمأنينة والراحة وفي ظل هذه الأجواء تمكن الأبناء من تحقيق أهدافهم، ووصلوا إلى مراحل متقدمة في المجتمع بفضل آبائهم، لذا يجب على الفرد أن يحمد الله على نعمة الأب الصالح وأن يشكر الأب على ما بذل طول سنوات عمره لإنجاح الأسرة وصلاحها.

ينتقل الإمام عليه السلام بعد ذلك لبيان حق الأبناء على الآباء فيقرر قائلاً: ((وأما حق ولدك فأن تعلم أنه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وإنك مسؤول عما وليته من حسن الأدب، والدلالة على ربه عز وجل، والمعونة على طاعته، فاعمل في أمره عمل من يعلم أنه مثاب على الإحسان إليه، معاقب على الإساءة إليه))^(١٠٤)، يضعك الإمام عليه السلام أمام حقيقة قد يهرب منها بعض الآباء المقصرين في تربية أولادهم إذ يقولون: إن الابن هو المسؤول عن تصرفاته، فيصدمك الإمام بحقيقة أن الابن منك فإن حسن خلقه فلحسن خلقك وتربيتك وإن ساء أدبه ففسوء تربيتك وقلة عنايتك به، وأن الأب سيلقى أثر ذلك في الدنيا قبل الآخرة فقد يجلب الابن غير الصالح كثيراً من المشاكل لأسرته حتى وإن هجرها أو طرده الأب من فناء هذه الأسرة إلا أن مشاكله ستبقى تلحق الأذى بها ولا تنفك تنغص حياة الأسرة، أما في الآخرة فليعلم الأب أنه محاسب بشدة عن تربية الابن، لأن الأبناء يولدون على الفطرة السليمة ويؤمنون بالله تعالى على الفطرة لكن الأب والبيئة قد تحرف تلك الفطرة إلى ما لا تحمد عقباه، لذا فمن واجب الأب أن يوفر الأجواء الصالحة لتعليم الأبناء وتربيتهم تربية صحيحة سليمة غير منحرفة، وجزاء ذلك ملاقيه في الدنيا وملاقيه في الآخرة.

يواصل الإمام عليه السلام بعد ذلك بيان حق الأخ على أخيه فيقول: ((وأما حق أخيك فان تعلم أنه يدك وعزك وقوتك فلا تتخذة سلاحاً على معصية الله، ولا عِدَّةً للظلم لخلق الله، ولا تدع نصرته على عدوه، والنصيحة له، فان أطاع الله، وإلا فليكن الله أكرم عليك منه، ولا قوة إلا بالله))^(١٠٥)، هكذا يرسم الإمام الخطوط الفاصلة بين الحق والباطل، فلا أخيك حق عليك وهو ناصرٌك وعضدٌك ولكن لتكن قوتكما في فعل الخير للمجتمع ولا تتآزرا على معصية الله داخل الأسرة أو خارجها، ولا تجعل قوتك بكثرة إخوانك ومنعتهم دونك سبباً لظلم عباد الله بل اجعل نصرته لك

ونصرك له لدفع الظلم وإحقاق الحق وإشاعة الفضيلة في المجتمع، ويجب عليك نصرته عندما يكون على الحق ونصحه عندما يشرف على الخطأ، ولا تتبعه إن لم يسمع النصيح وزلت به قدمه إلى معصية الخالق أو التجاوز على حقوق الآخرين لأنه لا يملك لك من دون الله شيئاً، إذا ظلمت نفسك أو ظلمت فرداً آخر.

أما حق الزوجة فيقول فيه إمامنا زين العابدين عليه السلام: ((وأما حق الزوجة فأنت تعلم أن الله عز وجل جعلها لك سكناً وأنساً، فتعلم أن ذلك نعمة من الله عز وجل عليك، فتكرمها، وترفق بها، وإن كان حقك عليها أوجب، فإن لها عليك أن ترحمها، لأنها أسيرك، وتطعمها وتكسوها، وإذا جهلت عفوت عنها))^(١٠٦)، نلاحظ أن كلام الإمام عليه السلام في تقرير حق الزوجة كله لطف ورقة ورأفة، فهو يذكر الزوج بأن هذه المرأة التي تعيش معه يجب أن تبنى العلاقة فيما بينهما على الرحمة، والود، والرفق، وأن على الزوج أن يتلطف بها ويكرمها ويرحمها لأنها لا تملك دون عطفه وحبه شيئاً فإنها قد تركت الأهل والعز في كنف أسرتها وأبيها ورضيت أن تعيش معك وأنت غريب عنها وتعاقداً بعقد الله أن تمكنك من نفسها وتمتعك وصار لزاماً عليك إطعامها وحمايتها وكسوتها وأن تعاشرها بمعروف، فأصبحت أسيرة عندك فتجب لها حقوق الأسرى من التكريم والعناية الفائقة والرعاية الكريمة.

ثم يستمر الإمام عليه السلام في بيان حق العبد الذي تملكه مباشرة بعد حقوق الزوجة مباشرة ليشعرك أنه جزء من عائلتك وأنت مسؤول منه فيقول: ((وأما حق مملوكك فأنت تعلم أنه خلق ربك، وابن أهلك وأهلك، ولحمك ودمك، لم تملكه لأنك صنعته دون الله، ولا خلقت شيئاً من جوارحه، ولا أخرجت له رزقاً، ولكن الله عز وجل كفأك ذلك، ثم سخره لك، واثمنتك عليه، واستودعك إياه، ليحفظ لك ما تأتية من خير إليه، فأحسن إليه، كما أحسن الله إليك، وإن كرهته استبدلت به، ولم تعذب خلق

الله عز وجل، ولا قوة إلا بالله))^(١٠٧)، والحق إنه لكلام تقشعر من عظمتة الأبدان إذ يبين الإمام عليه السلام أن هذا العبد الذي تملك رقبتة مساو لك من كل الجهات فخالقكما واحد وأبوكما واحد وأمكما واحدة وجنسكما واحد فأنت من لحم ودم، وهو كذلك، ثم إن الله قد سخره لك، وينبه الإمام عليه السلام العبد أمانة عندك ووديعة استودعك الله إياها، فمن يراعي هذه المعاني العظيمة كيف له أن يضرب عبده ونلاحظ بوضوح أن الإمام عليه السلام لم يسمه عبداً، فالعبودية لله تعالى وهو يريد تحرير الإنسان وإحياءه من فسماه (مملوكك) وجعل ذكر حقوقه بعد حقوق الزوجة مباشرة وكأنك تسلطت على رقبة الزوجة ورقبة العبد بما آتاك الله من رزقه وفضله فعليك أن تشكر الله على هذه النعم ون تحسن إليها، وتحببها حياة كريمة لا إهانة فيها ولا تسلط ولا عبودية من فكل فرد في المجتمع له وظيفة يؤديها ولا يحق له التجاوز على الآخرين.

لقد رتب الإمام عليه السلام الحقوق في تسلسل هرمي بديع سلسلة الحقوق التي تبنى عليها الأسرة الناجحة مبتدأ من الأسس الرافعة لهيكل الأسرة منتهيا بمكملاتها وهم المملوكون ففصل حدود كل فرد، فوالله إن أسرة تراعى فيها هذه الحقوق لحري بها أن تكون مثالا ناجحا في مجتمع فاضل، كان الإمام عليه السلام واعيا تماما لمكانة كل فرد من أفراد الأسرة وما يجب له وما يجب عليه فبين ذلك أمرا أتباعه ومن تصله وصيته عبر السنين أن ينهجوا هذا الطريق في تنظيم العلاقة بينهم لينعم كل منهم بحقوقه كاملة وينعم معه المجتمع بحياة طيبة. ويقينا أن تسطير هذه الحقوق بهذه الدقة والشمولية هدفه عند الإمام إحياء الأفراد وإحياء المجتمع بعد أن اضطربت حياته وأضحت مهددة في جوانب كثيرة منها.

إشاعة المودة والإخاء

حرص الإمام عليه السلام في تعاليمه وسلوكه العملي على إشاعة المودة والإخاء بين أفراد المجتمع لينمي فيهم الألفة والمودة والمحبة ويحيي فيهم النفوس المحبة للخير، وبداية الألفة تكمن في إفشاء السلام بين الناس فهو مدعاة للمودة بينهم، وقد عدَّ الإمام عليه السلام البدء بالسلام من صفات المؤمن، إذ يقول عليه السلام: ((من أخلاق المؤمن الإنفاق على قدر الإقتار، والتوسع على قدر التوسع، وإنصاف الناس، وابتدائه إياهم بالسلام عليهم))^(١٠٨)، ومن بعد السلام يأتي الذكر الطيب للآخرين، فكان علي بن الحسين عليه السلام يحث عليه، فيقول: ((إن الملائكة إذا سمعوا المؤمن يدعو لأخيه المؤمن بظهر الغيب أو يذكره بخير قالوا: نعم الأخ أنت لأخيك، تدعوه له بالخير وهو غائب عنك، وتذكره بخير، قد أعطاك الله عز وجل مثل ما سألت له، وأنتى عليك مثل ما أثنت عليه، ولك الفضل عليه))^(١٠٩)، الدعاء للمؤمنين والأصدقاء وذكرهم بكلمة طيبة مدعاة لإشاعة أجواء المحبة في المجتمع، وفيه إحياء لقيمة الإنسانية، ثم يترقى الإمام عليه السلام في تربيته لأصحابه إلى مرتبة أسمى وهي أن يسعى الأخ لقضاء حاجة أخيه المؤمن، يقول عليه السلام: ((والله لقضاء حاجته -يعني: الأخ المؤمن- أحب إلى الله عز وجل من صيام شهرين متتابعين واعتكافهما في المسجد الحرام))^(١١٠)، هذا القسم من الإمام عليه السلام بالثواب الجزيل من الله الذي يفضل ثواب الصلاة والصيام معتكفا، دافع كبير يحفز المؤمنين على التعاون فيما بينهم لقضاء حوائجهم متعاونين يرحم بعضهم بعضا ويساعد القوي الضعيف، وفي القيم حياة للمجتمع وإعمار للأرض بالخير والصلاح.

ولا يكتف الإمام عليه السلام بهذا القدر، بل يمارس بنفسه بعض الأنشطة التي تشيع المحبة بين أفراد المجتمع وتمتن أواصر الإخاء بينهم، فكان الإمام علي بن

الحسين عليه السلام ((يعجبه أن يحضر طعامه اليتامى والاضراء والزمني والمساكين الذين لا حيلة لهم، وكان يناولهم بيده، ومن كان له منهم عيال حمله من طعامه إلى عياله، وكان لا يأكل طعاماً حتى يبدأ ويتصدق بمثله))^(١١١)، هذه الممارسة العملية من الإمام عليه السلام وإشرافه بنفسه على إطعام الفقراء واليتامى والمرضى وأصحاب العاهات خطاب قوي للمجتمع يصرخ فيهم أن ارحموا هؤلاء فهم أخوتكم في الدين والجنس وليس لكم أن تستنكفوا منهم ولما كان الإمام خليفة الله تعالى فإننا نراه أرحم الناس بهذه الفئة الضعيفة التي تستحق العطف والرعاية وكان عمله هذا حثاً منه للمجتمع بتبني هؤلاء وعدم إهمالهم، ومنفذاً وصية جده أمير المؤمنين عليه السلام حينما قال ((الله الله في الأيتام فلا تُغبوا أفواههم، ولا يضيعوا بحضر تكم))^(١١٢)، وكان زين العابدين عليه السلام يدعو الناس إلى المحبة ويذكر لهم عظيم أجر المتحابين في الله، قائلاً: ((إذا جمع الله الأولين والآخرين قام مناد فنادى يسمع الناس فيقول: أين المتحابون في الله؟ قال: فيقوم عنق من الناس فيقال لهم: اذهبوا إلى الجنة بغير حساب، قال: فتلقاهم الملائكة فيقولون إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة بغير حساب، قال: ويقولون: وأي ضرب أنتم من الناس؟ فيقولون: نحن المتحابون في الله، قال: فيقولون: أي شيء كانت أعمالكم؟ قالوا: كنا نحب في الله ونبغض في الله، قال: فيقولون: نعم أجر العاملين))^(١١٣)، وهكذا كان الإمام عليه السلام يحرص كل الحرص على إشاعة مفاهيم المودة والمحبة والإخاء بين أفراد المجتمع لأنه على يقين من أن هذه المفاهيم فيها إحياء لقيم الإسلام التي سعى بنو أمية إلى طمسها وتحريفها للسيطرة على الناس وحكمهم والتأمر عليهم وتحويلهم إلى عبيد بعد أن حررهم الله وأحياهم بدعوة نبينا الأكرم ﷺ.

السماحة والتسامح والرافة

من القيم التي تحيي المجتمع السماحة في الخلق، وتسامح أفرادها فيما بينهم من حقوق، وإشاعة الرافة بينهم، وكان الإمام زين العابدين عليه السلام يعمل على تنمية هذه المفاهيم بين أفراد المجتمع، ويبدأ بأهل بيته فنراه يوصي ولده بقوله: ((إن شتمك رجل عن يمينك ثم تحول إليك عنيسارك، فاعتذر إليك فاقبل عذره))^(١١٤)، وليست هذه إلا أخلاق الأنبياء التي تسع الناس وتعطف عليهم وتعفو عن المسيء، بهذه البساطة والرفعة، وقال علي بن الحسين عليه السلام في تفسير قوله تعالى ﴿فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾^(١١٥)، قال: ((العفو من غير عتاب))^(١١٦)، فالإمام عليه السلام يدعو أتباعه ومحبيه ومن يسمع وصيته أن يترفعوا حتى عن المعاتبة ويصفحوا عن إخوانهم حينما يكون الصفح أجدى والعفو أرجى، فيذكر إمامنا العسكري عليه السلام أن ((رجلا جاء إلى علي بن الحسين عليه السلام برجل، يزعم أنه قاتل أبيه، فاعترف، فأوجب عليه القصاص، فسأله أن يعفو عنه؛ ليعظم الله ثوابه))^(١١٧)، نلاحظ أن الإمام عليه السلام بعدما قرر الحكم الواجب على الجاني طلب عليه السلام من صاحب الحق أن يعفو عنه طلبا لما عند الله من الفضل والجزاء، أي أن يمنح الجاني فرصة جديدة للحياة؛ ليحيه بعدما استحق الموت بجنايته، هكذا يسعى الإمام إلى إشاعة الرافة والتسامح في الحقوق عندما يكون صاحب الحق ظاهرا و متمكنا من أخذ حقه.

ويرسخ الإمام عليه السلام مبدأ التسامح بين أصحابه فيقول لهم: ((إذا أخذت أسيرا فعجز عن المشي ولم يكن معك محمل فأرسله ولا تقتله))^(١١٨)، وبهذا تكون الرافة مبدأ واجب التطبيق حتى مع العدو، فما أن يقع بيدك حتى تصبح له حقوق يجب مراعاتها، ولا يحق لك أن تتجاوز عليه، ويأمرنا الإمام عليه السلام أن نعفو عنه نرسله إذا

سنحت الفرصة لذلك، فليست غاية الإسلام قتل الناس أو أخذهم أسرى، بل غايته تربيتهم وإحيائهم بعد أن كانوا أمواتا مشركين أو كافرين.

لا يقف الإمام عليه السلام عند هذا الحد، بل يعلم أتباعه إشاعة الرأفة في المجتمع بما فيه من موجودات وإن كانت غير الإنسان، فطلب إليهم أن لا يذبحوا البهائم في الليل فكان يقول: ((لا تذبحوا حتى يطلع الفجر؛ فان الله عز وجل جعل الليل سكنا لكل شيء))^(١١٩)، فلما كان الليل سكنا وهدوء لا يرضى الإمام عليه السلام أن تفرع فيه الحيوانات، وتعرض للذبح، بل ينتظر فيها إلى الصباح، يربي الإمام عليه السلام أصحابه على احترام نوااميس الطبيعة الكونية كما خلقها الله وشاء لها أن تكون فلا يتعدوا عليها، ونهى الإمام السجاد عليه السلام عن أن تروع فراخ الطير في أعشاشها، فقد سأل أحد أصحابه عن العصفور يفرخ في الدار، هل تؤخذ فراخه؟ فقال عليه السلام: ((لا، إنَّ الفرخ في وكرها في ذمة الله ما لم يطر، ولو أن رجلا رمى صيدا في وكره فأصاب الطير والفراخ جميعا فإنه يأكل الطير، ولا يأكل الفراخ؛ وذلك أنَّ الفراخ ليس بصيد ما لم يطر، وإنما تؤخذ باليد وإنما يكون صيد إذا طار))^(١٢٠)، فالرأفة في مفهوم الإسلام لا تختص بالبشر فحسب بل تشمل الموجودات معه، فبحكم كونه خليفة لله في أرضه له ولاية على هذه الموجودات وعليه أن يحسن التصرف فيها والتعامل معها.

التكافل والضمان الاجتماعي

التكافل بين أفراد المجتمع ضرورة لازمة فيها يضمن المجتمع سلامة أفرادهِ ويضمن أن كل فرد من أفرادهِ سيكون نقطة تنير سماءه، وتعالج آلامه، فالجياع في المجتمع يجب إشباعهم، وقد تقع هذه المسؤولية على أفراد المجتمع في بعض الأحيان وذلك عندما يعلم الفرد أن فردا من الأفراد بعينه جائع فعليه أن يطعمه، وكان علي

بن الحسين عليهما السلام يقول: ((من بات شعبانا، وبحضرته مؤمن جائع طاو، قال الله عز وجل: ملائكتي أشهدكم على هذا العبد أني قد أمرته فعصاني، وأطاع غيري، ووكلته إلى عمله، وعزتي وجلالي لا غفرت له أبدا))^(١٢١)، فلا يجوز في بلاد المسلمين أن يجوع فرد وأنت تعلم به، ليست هذه من قيم هذا المجتمع المؤمن، وكان عليهما السلام يقول لمولى له: ((لا يعبر على بابي سائل إلا أطعمتموه فإن اليوم يوم الجمعة، قلت: ليس كل من يسأل مستحقا، فقال: يا ثابت أخاف أن يكون بعض من يسألنا محقا فلا نطعمه ونرده فينزل بنا أهل البيت ما نزل بيعقوب وآله، أطعموهم))^(١٢٢)، خلاصة الأمر أن الفرد لا يجوز أن يبقى جائعا في ديار المسلمين ويجب عليهم إطعامه.

ويعلم الإمام عليهما السلام أتباعه أن يخلفوا الحاج في أهله فيقول: ((من خلف حاجا في أهله وماله كان كأجره حتى كأنه يستلم الأحجار))^(١٢٣) هذا المبدأ يعلمنا أن رعاية الأسر المسلمة مضمونة في ديار المسلمين وبذا يكون الفرد مطمئنا على عياله إذا سافر لأنه يشعر أن المجتمع يرعاهم بغيابه، وهذا من مبادئ التكافل الاجتماعي التي حث عليها ديننا الحنيف وأوصى بها أئمتنا الأطهار.

العمل وتنمية الثروة العامة

الأموال في الإسلام ليست للخصن بل هي للعمل، وباستثمار الأموال ستدور عجلة الحياة ويشتغل كثير من الأفراد ويحصلون على رزقهم بطريق صحيح، فالبطالة الناتجة عن تخزين الأموال وجمعها سبب رئيس لكثير من آفات المجتمع وهي التي تدفع ببعض الأفراد إلى التجاوز على حقوق الآخرين أو مد أيديهم إلى المال الحرام، لذا كان إمامنا زين العابدين عليهما السلام يدعو أصحابه إلى تشغيل الأموال ويعد ذلك من تمام المروءة إذ يقول: ((استنماء المال تمام المروءة))^(١٢٤)، ويقول عليهما السلام أيضا: ((استثمار

المال تمام المروة))^(١٢٥)، فاستنماء المال أي تشغيله طلباً لنمائه، واستثماره تشغيله طلباً لثمرته، وثمره المال إدارة عجلة الحياة والتوسعة على العيال والنفس، وهذا المبدأ لا شك أنه يحبي المجتمع، وكان الإمام عليه السلام يحث على العمل ويقول: ((إن من سعادة المرء أن يكون متجره في بلاده))^(١٢٦).

كل هذه العوامل التي حثَّ عليها الإمام عليه السلام كانت عناصر لإحياء المجتمع وهو عوامل ايجابية تعززها يعود على المجتمع بالحياة الصالحة؛ لذا كانت دعوة إمامنا بالقول والعمل لترسيخ هذه المقومات الاجتماعية.

الجانب الثاني: محاربة العوامل السلبية المقوضة للمجتمع والحد منها، ويتحقق هذا من خلال محاربة مجموعة من الظواهر السلبية في المجتمع منها:

الفقر والعوز

الفقر والعوز من أخطر الأشياء التي تقوض استقرار أي مجتمع فإذا حلَّ الفقر بديار قوم لم تبق لهم حرمة إلا وتنتهك، فالجائع قد يفعل كل شيء ليسد وجوعه، وفي الأخص إذا كان معيلاً لأطفال، لذا سعى الإمام عليه السلام بكل طاقته لمحاربة الجوع والفقر في مجتمعه، وكان الإمام السجاد عليه السلام يشعر بفداحة هذا الخطب، وأنَّ مسؤولية الإمام عليه السلام تتعلق بمحاربته بما يمكنه، وإذا أردنا أن نتبع أخبار الإمام زين العابدين عليه السلام في هذا الجانب، فإنَّ المقام يضيق بنا؛ لذا سنذكر بعض الروايات للتمثيل، وأخباره عليه السلام في تصدقه وإطعامه الجياع أشهر من أن تحفى، فعن أبي حمزة الثمالي قال: «وكان علي بن الحسين عليه السلام ليخرج في الليلة الظلماء، فيحمل الجراب فيه الصرر من الدنانير والدرهم، حتى يأتي باباً باباً فيقرعه، ثم يناول من يخرج إليه، فلما مات علي بن الحسين عليه السلام، فقدوا ذلك فعلموا أن علي بن الحسين عليه السلام،

الذي كان يفعل ذلك»^(١٢٧)، كان الإمام عليهما السلام حريصا على إعالة العوائل الفقيرة في المدينة، ويسعى بنفسه لأداء تلك المهمة، ويحدثنا الإمام الصادق عليهما السلام عن جده زين العابدين عليهما السلام، إذ يقول: ((كان علي بن الحسين عليهما السلام إذا كان اليوم الذي يصوم فيه أمر بشاة، فتذبح وتقطع أعضاؤه وتطبخ، فإذا كان عند المساء أكب على القدور حتى يجد ريح المرق وهو صائم، ثم يقول: هاتوا القصاع، اغرفوا لآل فلان، اغرفوا لآل فلان، ثم يؤتى بخبز وتمر، فيكون ذلك عشاءه))^(١٢٨).

يعطينا الإمام عليهما السلام درسا علميا في الإيثار والصدقة فحال كونه صائما يطبخ الطعام، ويشم رائحته، فتشتهيه النفس، ولكن خلق الإمام عليهما السلام يأبى أن يأكل منه شيئا وفي المدينة جياع وفقراء فيوزع الطعام عن آخره بينهم، ويفطر من صيامه بالخبز والتمر ليواسي الفقراء في فقرهم، ويستشعر جوعهم ومعاناتهم، لم يطبخ الإمام عليهما السلام الشاة لنفسه وعياله بل كان يطبخها للفقراء من حوله، وكان يقول: ((من أطعم مؤمنا من جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، ومن سقى مؤمنا من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم، ومن كسا مؤمنا كساه الله من الثياب الخضر))^(١٢٩)، فغاية الإمام عليهما السلام كانت إطعام الجياع وتحفيز المتمكنين من حوله ليتابعوه في العمل الصالح، فينفقوا مما رزقهم الله على الفقراء والجياع، هذه آداب الإمام عليهما السلام وتربيته لأصحابه، وكان زين العابدين عليهما السلام «يشترى كساء الخبز بخمسين دينارا، فإذا صاف تصدق به»^(١٣٠)، ولا يبالي أن يتصدق الإمام عليهما السلام بالثوب وإن غلا ثمنه ولا يتركه في خزانة للسنة القادمة؛ لأن الإمام عليهما السلام ليس بطويل الأمل في هذه الدنيا، لا يخزن من حطامها شيئا، وقد توكل على الله وهو على يقين بأن الله تعالى كافيه حاجته فلم يخزن ثيابا أو أموالا؟ يجود بما يقع تحت يده لينقذ الفقراء والجياع، ومررت علينا أنفا بعض أخبار الإمام عليهما السلام، وأنه كان يُعَدُّ الطعام للفقراء، ويُشْرِفُ على إطعامهم بنفسه، لقد تصدى الإمام عليهما السلام لظاهرة الفقر والجوع في أيامه بما يشكل حلا سليما لهذه الآفة

الاجتماعية، ودعا أصحابه إلى التصديق في السر والعلن، بما يتمكن كل منهم وكان يقول عليه السلام لهم: ((ما من رجل تصدق على مسكين مستضعف فدعا له المسكين بشيء تلك الساعة إلا استجيب له))^(١٣١)، ليحبب الصدقة إلى نفوس الناس، وكان عليه السلام يقول لهم أيضا: ((صدقة السر تطفئ غضب الرب))^(١٣٢).

إن اهتمام الإمام عليه السلام بالتصدق والإطعام كان واضحا وشكل سمة من سمات شخصيته المباركة، وذلك إحياء للمجتمع وحفاظا على قيمه التي تدهورت بسبب تفشي الفقر والتميز الطبقي فالأموال استحوذ عليها نفر من الناس ظلما وعدوانا وبغير استحقاق، وبقي عامة الشعب يعاني من النقص والجوع، ما استوجب حلا مناسباً من إمام الأمة، وقد فعل ما أمكنه، وأنقذ كثيرا من الأسر التي كان الإمام عليه السلام يعيلها بنفسه، وأحى بذلك العمل الدؤوب المجتمع.

التميز العنصري والطبقية

ذكرنا في التمهيد أن من سمات المجتمع الأموي الذي عاصره الإمام زين العابدين عليه السلام وجود التمايز العنصري والطبقي، فقد أعاد بنو أمية النعرات الجاهلية وأحيوا العصبية القبلية بشكلها المضر بالمجتمع بعد أن أماتها الإسلام، فكان على الإمام عليه السلام أن يحيي قيم الإسلام ويميت العصبية المضرّة بالمجتمع والمهددة لقوامه، فنراه عليه السلام يقول: ((لا حسب لقرشي ولا عربي إلا بتواضع، ولا كرم إلا بتقوى))^(١٣٣)، وليس كل عصبية محرمة أو مذمومة، وقد سئل علي بن الحسين عليه السلام عن العصبية، فقال: ((العصبية التي يأثم عليها صاحبها أن يرى الرجل شرار قومه خيرا من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه، ولكن من العصبية أن يعين الرجل قومه على الظلم))^(١٣٤)، وخشية أن يفهم كلام الإمام عليه السلام

على غير وجهه الصحيح بين لنا الإمام عليه السلام معنى العصبية المذمومة التي يَأثم عليها صاحبها وهي تلك النوع من الرابطة التي تدفع صاحبها إلى نصرته الأشرار على الأخيار؛ بسبب رابطة الدم والرحم، أما أن يحب الرجل قومه وعشيرته وينصرهم على الحق ويساعدهم على فعل الخير فتلك صلة للرحم محبذة ومحمودة، أما التجاوز على الآخرين وظلمهم حقوقهم من أجل صلة القرابة للعشيرة أو القبيلة أو العرق، فهذه هي العصبية التي حاربها الإسلام وذمها الإمام عليه السلام وقال إن صاحبها يَأثم عليها، لأنها تقوض أساسا من أسس المجتمع المثينة، فالمجتمع يجب أن يبنى على المواطنة الصالحة وليس على العصبية الظالمة، فحياة المجتمع تقوم على العدل لا الظلم.

الغيبة والنميمة والبهتان

من الآفات الخطيرة التي تصيب بعض المجتمعات الغيبة والنميمة والنفاق الاجتماعي، وتهدد هذه الأمراض وحدة المجتمع وتعمل على نخر وحدات المجتمع المكونة له (الأسر) فقد تفت هذه الأمراض الاجتماعية كثيرا من الأسر وتميتها؛ ما يجعل كيان المجتمع كله مهددا بالانهيار؛ لذا كان الإمام عليه السلام يسعى إلى بيان خطر هذه الأمراض ومحاربتها بما يستطيع ويوصي أصحابه بعدم اقترافها، ويحذرهم من خطرها، فكان عليه السلام يقول لهم: ((إن الملائكة إذا سمعوا المؤمن يذكر أخاه بسوء ويدعو عليه قالوا له: بئس الأخ أنت لأخيك، كف أيها المستر على ذنوبه وعورته، وأربع على نفسك، واحمد الله الذي ستر عليك، اعلم أن الله عز وجل أعلم بعبده منك))^(١٣٥)، فيذكر أصحابه أن الله يعلم عيوب العباد وأن للمتكلم عيوباً قد سترها الله تعالى عليه وأن حري به أن ينشغل بعيوبه عن ذكر عيوب الآخرين، وكان يقول:

((من رمى الناس بما فيهم رموه بما ليس فيه))^(١٣٦)، ويقول عليه السلام: ((من كف عن أعراض المسلمين أقاله الله عز وجل عشرته يوم القيامة))^(١٣٧).

لا ينفك الإمام عليه السلام يذكر أن الغيبة والنميمة والبهتان وذكر عيوب الناس انشغال بأمور لا تليق بمروءة الرجل ولا تناسب كرامته وإن من لا ينتهي عن ذكر عيوب الناس فإنه يفتح على نفسه بابا واسعا فيذكره الناس بما لا يجب من العيوب وإن كانت ليست فيه، وكأن هذه المعادلة التي يذكرها الإمام عليه السلام لنا تمثل عقوبة عاجلة لمن لا يتورع عن ذكر عيوب الناس فسرعان ما يرموه بتهم باطلة لا يجب أن تنسب له، وبعد ذلك فإن الله له بالمرصاد، فعقوبته يوم القيامة شديدة، يقول الإمام السجاد عليه السلام: ((إياكم والغيبة، فإنها إدام كلاب النار))^(١٣٨)، هذا التحذير الشديد من الإمام عليه السلام يشعر به أصحابه بأن عقوبة الغيبة في الآخرة بشعة جدا والعاقل لا يليق به أن يقترب مثل هذا الفعل، وإلحاح الإمام عليه السلام على التحذير من هذه الصفات لعلمه اليقين أنها من الأخطار الشديدة التي تؤدي إلى موت المجتمع وأنها قيمة سلبية يجب التصدي لها بقوة، ولم يكن الإمام عليه السلام يسمح لأحد أن يذكر الآخرين بسوء في مجلسه أو أن ينقل له كلاما عنهم، فتذكر الأخبار أن رجلا قال للإمام عليه السلام: إن فلانا ينسبك إلى أنك ضال مبتدع، فقال له علي بن الحسين عليه السلام: ((ما رعت حق مجالسة الرجل، حيث نقلت إلينا حديثه، ولا أديت حقي حيث أبلغتني عن أخي ما لست أعلمه!... إياك والغيبة، فإنها إدام كلاب النار، واعلم أن من أكثر من ذكر عيوب الناس شهد عليه الإكثار أنه إنما يطلبها بقدر ما فيه))^(١٣٩)، فلم يسمح الإمام عليه السلام لأحد جلسائه أن ينقل له كلاما عن شخص آخر وإن كان صادقا في نقله عنه، ونهاه نهيا شديدا عن هذا الفعل، ليؤدبه ويمنعه من تكرار مثل هذا الفعل لأنه ليس من المروءة ويميت القلب ويفتت المجتمع.

وكان الإمام عليهما السلام قد ذكر في رسالة الحقوق أن: ((حق اللسان إكرامه عن الخنا، وتعويده الخير وترك الفضول التي لا فائدة لها، والبر بالناس، وحسن القول فيهم، وحق السمع تنزيهه عن سماع الغيبة، وسماع ما لا يحل سماعه))^(١٤٠)، فحاسة النطق التي وهبها الله تعالى لنا يجب أن نصونها عن ذكر عيوب الناس وأن نقول فيهم القول الحسن مثلما يجب أن نصون حاسة السمع ونمنعها عن سماع الأباطيل والبهتان وقول الزور.

الفحش والفحشاء والمنكر في القول والعمل

ولقد شاعت الفحشاء في مجتمع بني أمية وذكرنا أننا تفشي الغناء والرقص وشرب الخمر وشاع المنكر في ظل فسق الحكام والأمراء ومجونهم، دون أدنى ريب إن مثل هذه الأعمال تهدد المجتمع في الصميم، وتميت مقومات وجوده، فنهض الإمام عليهما السلام للتصدي لتلك الأعمال، بالقول والعمل عمليا تصدى لها بتعليم أصحابه كثرة العبادة والدعاء والمناجاة وكانت هذه الأعمال تهذب النفس وتؤثر في مستوى الفرد فتحصنه من الانزلاق في مهاوي الرذيلة، أما على المستوى الاجتماعي العام فكان كثير النصح والإرشاد لعامة الناس فنراه عليهما السلام يحذرهم قائلا: ((والذنوب التي تهتك العصم: شرب الخمر واللعب بالقمار وتعاطي ما يضحك الناس من اللغو والمزاح وذكر عيوب الناس ومجالسة أهل الريب))^(١٤١).

فشرب الخمر يخرج العبد من عصمة مولاه فيتركه الله تعالى لعمله وقد خسر من يخرج من ساحة رحمة الله ويعتصم بعمله، وكان إمامنا علي بن الحسين عليهما السلام يقول: ((إن لسان ابن آدم يشرف كل يوم على جوارحه كل صباح فيقول: كيف أصبحت؟ فيقولون بخير إن تركتنا، ويقولون: الله الله فينا، ويناشدون ويقولون: إنما نثاب

ونعاقب بك))^(١٤٢)، هذه الحوارية الجميلة بين اللسان والجوارح تبين هيمنة اللسان على بقية الجوارح فقد يعثر اللسان، وتحمل بقية الجوارح التبعات والعقوبات؛ لذا كان إمامنا علي بن الحسين عليه السلام يوصي ولده وأصحابه ومن بلغهم قوله قائلاً: ((اتقوا الكذب الصغير منه والكبير في كل جد وهزل، فإن الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير أما علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ما يزال العبد يصدق حتى يكتبه الله صديقاً، وما يزال العبد يكذب حتى يكتبه الله كذاباً))^(١٤٣)، فالكذب من الفحشاء التي نهى الإسلام عن اقترافه؛ لأنه مرض يضيع الحق في المجتمع وتتيه معه الحدود فيتجاوز ضعاف النفوس عليها، نتيجة الكذب وقول الزور.

وكان الإمام عليه السلام قد حذر من الذنوب التي تدل الأعداء وهي: المجاهرة بالظلم، وإعلان الفجور وإباحة المحظور وعصيان الأخيار والانصياع للأشرار، وحذر أيضاً من الذنوب التي تعجل الفناء وهي: قطيعة الرحم واليمين الفاجرة، والأقوال الكاذبة، والزنا وسد طريق المسلمين، وادعاء الإمامة بغير حق^(١٤٤)، هذه الأعمال كلها من الفحشاء والباطل التي نهى الإسلام عن اقترافها لأنها تضر بصحة المجتمع، وتميت القيم الإيجابية فيه ن لذا يحذر منها الإمام بشدة.

وكان الإمام عليه السلام قد قرر في رسالة الحقوق حق بعض الأعضاء قائلاً: ((وحق اللسان إكرامه عن الخنا وتعويده الخير وترك الفضول التي لا فائدة لها، والبر بالناس، وحسن القول فيهم، وحق فرجك عليك ان تحصنه من الزنا، وتحفظه من أن ينظر إليه))^(١٤٥)، فاللسان والفرج من الأعضاء التي قد يكون لهما أثر في الحفاظ على حشمة المجتمع وصيانتها من الرذيلة من خلال حفظ اللسان من الفحش في القول وحفظ الفرج من الزنا وصيانتها عما لا يجوز من الأفعال، وبذا يحاول الإمام عليه السلام صيانة المجتمع من الانحلال الخلقي ويعالج بهذه الوصايا بعض الأمراض التي انتشرت

في عصر بني أمية. وكان عليه السلام يقول: ((أربع من كن فيه كمل إسلامه، ومحضت عنه ذنوبه، ولقي ربه عز وجل وهو عنه راض: من وفى لله عز وجل بما يجعل على نفسه للناس، وصدق لسانه مع الناس، واستحيا من كل قبيح عند الله وعند الناس، وحسن خلقه مع أهله))^(١٤٦)، هذه قاعدة عامة من تمام إسلام المرء أنه يستحيي من كل قبيح شرعا وعرفا، ثم لا يكون كاذبا، ولا فاحش القول، ولا خوانا، وإن هذه الصفات إن توافرت في العبد ستعينه على تكوين أسرة صالحة ويكون عضوا إيجابيا في المجتمع يساعد في إحياء الفضيلة ونشرها بين الناس.

تحريم الربا والمنافع الباطلة

أحل الله البيع وحرم الربا ولقد كان الربا من الممارسات التي قوضت أسس المجتمع الجاهلي في مكة وأرهقت كاهل كثير من أفرادهم وسلبتهم كل ما يملكون وحولته إلى ثروات باطلة تنمو بصورة غير شرعية عند فئة من المتفعين والمتسلطين، ولقد حارب الإسلام الربا، وأسقط كل ربا من أيام الجاهلية، ولكن لشيوع الفقر وازدهار طبقة من الأغنياء المقربين من السلطة وقلة الوازع الديني أيام نبي أمية يبدو أن هذه الآفة قد عادت إلى المجتمع وكان على الإمام زين العابدين التصدي لها ولكل المنافع الباطلة التي تضر بكيان المجتمع الاقتصادي وتضر بعملية حركة الموال والثروات في المجتمع وتحولها من حركة نافعة إلى حركة احتكارية ضارة بل محطمة لكيان المجتمع، فنراه عليه السلام يقول: ((الحلال هو قوت المصطفين، ثم قال: قل: اللهم إني أسألك من رزقك الواسع))^(١٤٧)، فيعلم أصحابه ومن يبلغه كلامه الشريف أن الأصل في الإنسان أن يجمع قوته وقوت عياله من الحلال وأن الذين اصطفاهم الله تعالى كانوا يأكلون من الحلال ولم يداخل قوتهم الحرام ثم يعلمهم أن يطلبوا من الله الرزق الحلال، وكان الإمام زين العابدين عليه السلام قد قال في رسالة

الحقوق: ((وحق يديك أن لا تبسطهما إلى ما لا يحل لك وحق بطنك أن لا تجعله وعاء للحرام وأما حق مالك فأن لا تأخذه إلا من حله ولا تنفقه إلا في وجهه ولا تؤثر على نفسك من لا يحمذك فاعمل به بطاعة ربك ولا تبخل به فتبوء بالحسرة والندامة مع التبعة))^(١٤٨)، فيقرر لنا أماننا عليه السلام أن نعمة سلامة اليد التي أنعم الله بها عليك يجب أن يكون شكرها أن لا تمدها إلى حرام، وحق بطنك أن لا تدخل فيه مالا حراما، وأن مالك يجب أن يكون من المكاسب المحللة شرعا وان لا يكون حراما من ربا او سرقة أو غيرهما من الطرق غير الشرعية لجمع الثروة وأن هذه الثروة التي تحصل عندك مصيرها إلى غيرك فانفق منها في ما يرضي الله قبل أن تجوزك إلى غيرك فتخرج من يدك وتبقى تبعثها عليك.

هكذا يربي الإمام عليه السلام أفراد مجتمعه، وكان ينهاهم عن صغائر الأمور إذا كانت تعثرها شبهة فساد، فيذكر لنا الإمام الباقر عليه السلام: ((أن الإمام زين العابدين عليه السلام كان ينهى عن الجوز الذي يجيء به الصبيان من القمار أن يؤكل، وقال: هو السحت))^(١٤٩)، فهذا المقدار القليل الذي قد لا يهتم لشأنه بعض الناس كان الإمام عليه السلام لا يرتضيه وينهى عن أكله معتبرا إياه مالا لم يؤخذ من عمل أو كسب صحيح، فالأموال لها طرقها الصحيحة التي يجب أن تتحرك فيها في المجتمع لتدوم وتنمو بطرقها الصحيحة محققة فوائدها، أما الحصول على الأموال من طرق غير مجازة في الشرع فهذا ما كان ينهى عنه الإمام عليه السلام؛ لأنه من أسباب موت المجتمعات والقضاء عليها؛ لذا وجب محاربة المكاسب المحرمة من أجل إحياء المجتمع والحفاظ على سلامته.

الخاتمة والنتائج

كانت هذه الجولة في سيرة الإمام علي بن الحسين عليه السلام والتفحص لأخباره ووصاياه وآثاره محاولة لاستكشاف فلسفته الإحيائية على مستوى الفرد والمجتمع ولقد تبين لنا الآتي:

١. أن الإمام علي بن الحسين عليه السلام كان يصدر عن فلسفة إحيائية واضحة هي نفسها التي دعا إليها نبينا الأكرم وأمرنا الله تعالى بالاستجابة لها؛ لأن فيها حياتنا.
٢. كانت هذه السياسة تعتمد على محاور خاصة لإحياء الفرد حياته المادية، وقد وجدنا الإمام عليه السلام يحث على إنتاج الأولاد من الطرق الصحيحة من خلال الزواج الشرعي والابتعاد عن العلاقات غير الشرعية بين الذكر والأنثى لأنها قد تكون سببا في إنتاج أفراد غير شرعيين في المجتمع ومن ثم يكون هذا وبالا عليه. هذا من جهة ومن جهة ثانية فقد عمل الإمام عليه السلام على انتهاج سياسة خاصة لتحرير العبيد وإعادة إحيائهم بعد أن فقدوا حريتهم وقد كانت ظاهرة عتقه للعبيد علاجا ناجحا لتفشي ظاهرة العبودية في العصر الأموي، فكان الإمام عليه السلام يحتضن العبيد ويعلمهم ويغمرهم بعطفه ورعايته قبل أن يزجهم من جديد في المجتمع وبعد أن يوفر لهم مستلزمات نجاحهم في الحياة، فكانت هذه سياسته الإحيائية للعبيد.

٣. أما حياة الفرد المعنوية فقد اهتم بها الإمام وعمل عليه السلام على إحيائها وذلك تقوية الإيمان بالله تعالى وإشاعة مفهوم الرحمة في النفوس ثم مفهوم الحلم لتحيا بها نفوس الأفراد وتزدهر قيم الخير عندهم.

٤. بعد ذلك كانت فلسفة الإمام عليه السلام في إحياء المجتمع تعتمد على جانبين مهمين الأول تعزيز الظواهر الإيجابية في المجتمع مثل تكوين الأسرة الصالحة، وإشاعة المودة والإخاء في المجتمع، وإشاعة السماحة والتسامح والرفافة بين أفراد المجتمع، ثم تعزيز مفهوم التكافل الاجتماعي، ودعم استثمار المال بالشكل الصحيح وتنمية الوضع الاقتصادي في المجتمع، أما الجانب الثاني فيتمثل في محاربة الظواهر السلبية المقوضة لسلامة المجتمع والمهدد لكيانه مثل: محاربة الفقر والعوز والجوع في المجتمع، والتصدي لظاهرة التمييز العنصري والعصبية القبلية، محاربة ظاهرة الغيبة والنميمة والبهتان، عدم السماح لانتشار الفحش والفحشاء في القول والعمل، وتحريم المنافع الباطلة وأولها الربا والمكاسب غير الشرعية. وبهذا تمكن الإمام زين العابدين عليه السلام من إعادة إحياء المجتمع والتصدي للانهيار الخطير الذي كان يترصد به.

١. الأنفال: ٢٤.
٢. الأنعام: ١٢٢.
٣. الزمر: ٩.
٤. ينظر: لسان العرب: ابن منظور، نشر أدب الحوزة قم، إيران ١٤٠٥ هـ، مادة (حيا) ١٤ / ٢١١-٢١٢.
٥. فاطر: ٢٢.
٦. النحل: ٢١.
٧. يس: ٧٠.
٨. ينظر لسان العرب ١٤ / ٢١١-٢١٢.

٩. موسوعة المورد: مادة (Life).
١٠. ينظر المصدر السابق نفسه.
١١. الصحاح في اللغة والعلوم: مادة (حي).
١٢. ينظر: خلاصة علم الكلام: عبد الهادي الفضلي: ٩٥.
١٣. الفرقان: ٥٨.
١٤. الميزان في تفسير القرآن: السيد الطباطبائي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، د.ت: ٢/ ٣٣٠.
١٥. ينظر: الإمام السجاد عليه السلام جهاد وأمجاد: حسين الحاج حسن، دار المرتضى بيروت: ٩ - ١٥.
١٦. الإمام الحسين عليه السلام: عبد الله العلايلي: ٢٣٩.
١٧. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ١١/ ١٩٦١، ٤٥، وينظر معه بحار الأنوار: المجلسي، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان: ٣٣/ ١٨١.
١٨. المصدرين السابقين.
١٩. ينظر: الإمام السجاد عليه السلام جهاد وأمجاد: ١١.
٢٠. ينظر: الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان: ١٥ / ٧٥.
٢١. الحجرات: ١٣.
٢٢. شرح نهج البلاغة ١/ ١٢٨، بحار الأنوار: ٧٣/ ٣٥٠.
٢٣. العقد الفريد: ابن عبد ربه الأندلسي: ٢/ ٢٦٠، وينظر معه: حياة الإمام الحسين عليه السلام: باقر شريف القرشي، مطبعة الآداب النجف ط ١، ١٩٧٥: ٢/ ١٣٥.
٢٤. الإمام السجاد عليه السلام جهاد وأمجاد: ١٣.
٢٥. المصدر السابق: ١٥.
٢٦. الأغاني: ٢١/ ٢٥٧.
٢٧. ينظر: بحار الأنوار: ٤٤/ ٣٢٥، وحياة الإمام الحسين عليه السلام: ١/ ١٢٠.
٢٨. ينظر: الإمام السجاد عليه السلام جهاد وأمجاد: ٢٣.
٢٩. ينظر: الأغاني: ١/ ٣١٠، ٩/ ٢٦٢، ١٧/ ٨٩.
٣٠. ينظر: الأغاني: ٩/ ١٧٢.
٣١. ينظر: الأغاني: ٨/ ٤٢٢، ديوان الأخطل: ١٦٣، معاهد التنصيص: عبد الرحيم العباسي ١/ ٢٧٢ - ٢٧٦.
٣٢. ينظر: الأغاني: ١/ ٥٥، ٤/ ٢٠، ٥٠٠، ٥/ ١١١.

٣٣. ينظر: بحار الأنوار: ٣١/ ١٥٣، ١٥٩.
٣٤. الأغاني: ٨/ ٢٤٤.
٣٥. العقد الفريد: ٣/ ٢٣٣.
٣٦. ينظر: الأغاني: ٨/ ٢٢٧، الشعر والغناء في المدينة ومكة: ٢٥٠.
٣٧. ينظر: الأغاني: ٨/ ٣٤٣.
٣٨. ينظر: المصدر نفسه: ٣/ ٢٢٦، ٨/ ٣٢٤.
٣٩. ينظر: المصدر نفسه: ٣/ ٣٠٧.
٤٠. الأنفال: ٢٤.
٤١. النحل: ٧٢.
٤٢. وسائل الشيعة: الحر العاملي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط ٢، ١٤١٤ هـ، مهر، قم
المشرفة: ٢٠/ ١٤.
٤٣. الكافي: الكليني، تحقيق علي أكبر غفاري، ط ٣، ١٣٦٧ هـ ش، درا الكتب الإسلامية طهران:
٥/ ٢٥٨، وسائل الشيعة: ٢١/ ٣٥٦.
٤٤. الكافي: ٥/ ٢٥٨.
٤٥. كنز العمال: المتقي الهندي، تحقيق: بكري حياقي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٩٧٩ بيروت:
١٦/ ٢٩٦.
٤٦. نوح: ١٠-١٢.
٤٧. وسائل الشيعة: ٢١/ ٣٦٩-٣٧٠.
٤٨. المصدر السابق: ٢١/ ٨١.
٤٩. ينظر: جهاد الإمام السجاد عليه السلام: محمد رضا الجلاي، مؤسسة دار الحديث، ط ١، ١٤١٨ هـ:
١٤٣-١٤٤.
٥٠. ينظر: المعلى بن خنيس: حسين الساعدي ط ١، ١٤٢٥ هـ، دار الحديث للطباعة والنشر،
لبنان: بيروت: ٢٦.
٥١. ينظر: شرح نهج البلاغة: ١٥/ ٢٧٧، جهاد الإمام السجاد عليه السلام: ١٤٤.
٥٢. وسائل الشيعة: ١٠/ ٣١٧-٣١٨.
٥٣. شرح الأخبار القاضي القاضي النعمان المغربي، تحقيق: السيد محمد الحسيني الجلاي، مؤسسة
النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم المشرفة: ٣/ ٢٦٠.
٥٤. الجاثية: ١٤.
٥٥. بحار الأنوار: ٤٦/ ١٠٠.

٥٦. بحار الأنوار: ٧٩/ ١٤٢.
٥٧. وسائل الشيعة: ٢٢/ ٤٠١.
٥٨. ينظر: مسند أحمد: أحمد بن حنبل، دار صادر بيروت: ٢/ ٤٢٠، صحيح البخاري: البخاري، دار الفكر، بيروت ١٩٨١: ٣/ ١٨٨، صحيح مسلم: مسلم النيسابوري، دار الفكر، بيروت لبنان: ١٠/ ١٥٢، سنن الترمذي: الترمذي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، ط ٢، ١٩٨٣، دار الفكر، بيروت، لبنان: ٤/ ١١٤، السنن الكبرى: البيهقي، دار الفكر: ٦/ ٢٧٣.
٥٩. ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٩٢: ٤/ ٥٤٨.
٦٠. ينظر: جهاد الإمام السجاد عليه السلام: ١٤٦.
٦١. ينظر: المصدر السابق.
٦٢. ينظر: وسائل الشيعة: ١٠/ ٣١٧-٣١٨.
٦٣. ينظر: جهاد الإمام السجاد: ١٤٥-١٤٦.
٦٤. آل عمران: ٦٤.
٦٥. البقرة: ٦٢.
٦٦. الأنعام: ١٢٢.
٦٧. التبيان في تفسير القرآن: الشيخ الطوسي، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، ط ١، ١٤٠٩هـ، مكتب الإعلام الإسلامي: ٤/ ٢٥٩.
٦٨. النحل: ٢٠ - ٢١.
٦٩. الأنفال: ٢٤.
٧٠. ينظر: الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرفة: ٢/ ١٢١.
٧١. الصحيفة السجادية: الإمام علي بن الحسين عليه السلام، ط ١، ١٤١٨هـ، دفتر نشر الهادي، قم، إيران: ٢٨.
٧٢. الحديد: ٣.
٧٣. الصحيفة السجادية: ٣٠.
٧٤. الصحيفة السجادية: ٣٤.
٧٥. الصحيفة السجادية: ٥٢-٥٣.
٧٦. الصحيفة السجادية: مناجاة المريدين.
٧٧. بحار النوار: ٨٣/ ٩٥.

٧٨. ق: ١٦.
٧٩. البقرة: ١٨٦.
٨٠. تحف العقول عن آل الرسول: ابن شعبة الحراني، تصحيح وتعليق كعلي أكبر غفاري، ط ٢، ١٤٠٤هـ، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة: ٢٥٦.
٨١. بحار الأنوار ٩٥ / ٨٧.
٨٢. ينظر: الإمام زين العابدين القائد الداعية الإنسان: د. محمد حسين الصغير، مؤسسة البلاغ، ط ١، ٢٠١٢م، بيروت ١١٥.
٨٣. الإسراء: ١٣٣.
٨٤. الكهف: ٥٨.
٨٥. الأعراف: ١٥٦.
٨٦. الأنعام: ١٢.
٨٧. وسائل الشيعة: ٩ / ٣٩٧ - ٣٩٨.
٨٨. وسائل الشيعة: ٩ / ٣٩٧ - ٣٩٨.
٨٩. سيرة الأئمة الاثني عشر: هاشم معروف الحسني: مطابع بيروت الحديث ٢٠٠٩: ٢ / ١٤٩ - ١٥٠، وينظر مصادره.
٩٠. الخصال: الشيخ الصدوق: تصحيح: علي أكبر غفاري: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم ١٤٠٢هـ: ٥٧٠.
٩١. الخصال: ٥٧٠.
٩٢. الخصال: ٥٧٠.
٩٣. وسائل الشيعة: ١١ / ٤٨٤.
٩٤. وسائل الشيعة: ١١ / ٥٤١.
٩٥. البقرة: ٢٣٥.
٩٦. التبيان في تفسير القرآن: ٢ / ٢٣١.
٩٧. الصحيفة السجادية: ٢٤٠.
٩٨. وسائل الشيعة: ١٥ / ٢٦٦.
٩٩. وسائل الشيعة: ١٥ / ١٩٢.
١٠٠. ميزان الحكمة: محمد الريشهري، دار الحديث، ط ١، ١٤١٦هـ: ١ / ٢٠٧.
١٠١. وسائل الشيعة: ١٥ / ١٧٥.
١٠٢. وسائل الشيعة: ١٥ / ١٧٥.

١٠٣. وسائل الشيعة: ١٥ / ١٧٥.
١٠٤. وسائل الشيعة: ١٥ / ١٧٥ - ١٧٦.
١٠٥. وسائل الشيعة: ١٥ / ١٧٤ - ١٧٥.
١٠٦. وسائل الشيعة: ١٥ / ١٧٥.
١٠٧. وسائل الشيعة: ١٢ / ٥٥.
١٠٨. وسائل الشيعة: ٧ / ١١١.
١٠٩. وسائل الشيعة: ١٦ / ٣٤٢.
١١٠. وسائل الشيعة: ٩ / ٣٩٧ - ٣٩٨.
١١١. نهج البلاغة: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، جمع: الشريف الرضي، تحقيق: صبحي الصالح، ط ١، ١٩٦٧، بيروت: ٤٢١.
١١٢. وسائل الشيعة: ١٦ / ١٦٧.
١١٣. وسائل الشيعة: ١٢ / ٢١٨.
١١٤. الحجر: ٨٥.
١١٥. وسائل الشيعة: ١٢ / ١٧١.
١١٦. وسائل الشيعة: ٢٩ / ٥٤.
١١٧. وسائل الشيعة: ١٥ / ٧٢.
١١٨. وسائل الشيعة: ٢٤ / ٤١.
١١٩. وسائل الشيعة: ٢٣ / ٣٨٤.
١٢٠. وسائل الشيعة: ٢٤ / ٣٢٦.
١٢١. وسائل الشيعة: ٩ / ٤١٦.
١٢٢. وسائل الشيعة: ١١ / ٤٣٠.
١٢٣. ميزان الحكمة: ٤ / ٢٨٨١.
١٢٤. ميزان الحكمة: ٤ / ٢٩٨٤.
١٢٥. وسائل الشيعة: ١٧ / ١٧٧.
١٢٦. وسائل الشيعة: ٩ / ٣٩٧.
١٢٧. وسائل الشيعة: ١٠ / ١٤٠.
١٢٨. وسائل الشيعة: ٩ / ٤٧٤.
١٢٩. وسائل الشيعة: ٤ / ٣٦٧.
١٣٠. وسائل الشيعة: ٩ / ٤٢٤.

١٣١. وسائل الشيعة: ٣٩٦/٩.
١٣٢. وسائل الشيعة: ٤٧/١.
١٣٣. وسائل الشيعة: ٣٧٣/١٥.
١٣٤. وسائل الشيعة: ١٢٢/٧ - ١٢٣.
١٣٥. ميزان الحكمة: ٣١٤/١.
١٣٦. ميزان الحكمة: ١٨٦٨/٣.
١٣٧. ميزان الحكمة: ٢٣٢٩/٣.
١٣٨. ميزان الحكمة: ٢٣٢٩/٣.
١٣٩. وسائل الشيعة: ١٧٣/١٥.
١٤٠. وسائل الشيعة: ٢٨٢/١٦.
١٤١. وسائل الشيعة: ١٨٩/١٢.
١٤٢. وسائل الشيعة: ٢٥٠/١٢.
١٤٣. وسائل الشيعة: ٢٨٢/١٦.
١٤٤. وسائل الشيعة: ١٧٣/١٥.
١٤٥. ميزان الحكمة: ١٩٦/١.
١٤٦. وسائل الشيعة: ١٢٣/٧.
١٤٧. وسائل الشيعة: ١٧٣/١٥.
١٤٨. ميزان الحكمة: ٢٦٢٨/٣.

